جريمة الوحدة رقم 12

(الجريمة الثانية من سلسلة تحقيقات عيسى الوكيل)

احمد محمد حسن

"عزيزي القارئ/ تحية طيبة وبعد...رجاءا إرسال تقييمك لهذا العمل على هذا البريد الالكترونى (AHMEDHASSAN15891@GMAIL.COM) وذلك من أجل مساعدتى فى التطور وتقديم الأفضل لك حتى أكون جدير بثقتك وتحظى كتاباتى على إعجابك دائماً كما يمكنك متابعتي على منصة الفيس بوك اذا أردت عبر هذا الحساب

https://www.facebook.com/profile.php?id=100046332548228&mibextid=ZbWKwL]]

وفى النهاية شكرا على صبرك وتفهمك اتمنى لك قراءة ممتعة"

(||)

(جريمة الوحدة رقم (12

{الجريمة الثانية من سلسلة تحقيقات عيسى الوكيل}

الشهر / يوليو . الساعةُ / العاشرة صباحا . المكانُ / حيُ مدينةِ نصرٍ . المحافظةُ / القاهرةُ . رنَ هاتفها ، أثناءَ سيرها بخفةِ ومرونةِ مثلِ فراشةٍ ، تشقَ طريقها تحتَ فروعِ الأشجارِ ، التي استطاعتْ بحكمةٍ إلهيةٍ ، أنْ تكونَ مظلةٌ خضراءُ تحجبُ خيوطَ الشمسِ عنْ المارةِ ، أجابتْ : _ مرحبا أمي . _ أنا بخيرِ حالٍ . _ لا تقلقي ، لنْ أنسى شراءُ الجبنِ القريش منْ أجلكَ . كانتْ عيناها الجميلتانِ شاردةً ، وملامحُ وجهها المشرقُ جافةً خاليةً منْ الأملِ ، قالتْ : _ اشتاقَ إليكَ كثيرا ، وأتوقُ إلى عناقكَ _ الذي يشعرني بأنني على قيدِ الحياةِ . صمتتْ للحظةٍ ، ثمَ أضافتْ : _ اطمئني ، أنا بخيرٍ ، لكني لا أعلمُ لماذا أخبركُ بذلكَ ! ، برغمَ أننا كنا معا منذُ أقلَ منْ ساعةٍ ، وإذا شاءَ الإلهُ لنْ تمرَ ساعةٌ أخرى حتى أعودَ إليكَ . فاضتْ عيناها بالدموعِ ، حتى سقطتْ قطرتانِ فوقَ وجنتيها ، تنهدتْ بهدوءٍ ، ثمَ استرسلتْ : _ لكنَ قلبي ليسَ على ما يرامُ ، إنهُ يخبرني أننا لنْ نلتقيَ مرةٌ أخرى . أزالتْ أثارَ الدموعَ ، ثمَ قالتْ : _ لا تبكي يا أميٌ ، أرجوكُ ، أنا بخيرِ حالٍ ، يجبَ أنْ أنهى المكالمةَ الآنَ ، لقدْ وصلتْ . توقفتْ أمامَ إحدى البناياتِ المرتفعةِ ، نظرتْ إلى البنايةِ في شرودٍ _ أحبكُ كثيرا . قالتها ، ثمَ أنهتْ المكالمةُ _ حمدا للهِ على سلامتكَ يا هانم . قالها الحارسُ مرحبا ، بلهجتهِ الصعيديةِ المألوفةِ ، كانَ ذلكَ أثناءَ انتظارها المصعدِ _ كيفَ حالكَ يا عمُ صابرْ ؟ _ الحمدُ للهِ ، في خيرِ حالٍ . ثمَ تسائلُ : _ هلْ يمكنني تقديمُ أيِ مساعدةٍ ؟ _ أشكركُ يا عمُ صابرْ .

قالتها ، ثمَ استقلتْ المصعدَ الكهربائيَ ؛ بعد لحظاتٍ غادرتْ المصعدَ في الطابقِ السادسِ ، أولجتْ المفتاحَ في المكانِ المخصصِ وعالجتْ القفلَ بهدوءٍ ، ودلفتْ إلى الداخلِ ، ألقتْ حقيبةَ يدها وهاتفها فوقَ طاولةِ الطعامِ ، ثمَ مرتْ عبرَ رواقٍ طويلٍ إلى حدِ ما ، وأخيرا وصلتْ إلى غرفةِ النومِ ، لاحظتْ أنَ بابَ الغرفةِ مغلقا ، وهذا الشيءُ أقلقها ، لمْ تعتادَ إغلاقهُ أبدا ، حتى زوجها لا يقومُ بذلكَ ، خطرُ لها أنهُ ربما استضافَ أحدُ أصدقائهِ يوما ما ، واضطرَ إلى إغلاقهِ ، وكانتْ الصدمةُ عندَ دخولها ، عندما وجدتْ الغرفةُ مقلوبةً رأسا على عقبٍ ، فوضى عارمةٌ حلتْ بالغرفةِ ، ملابس متناثرةٍ يمينا ويسارا ، البابُ الصغيرُ للكونودْ مفتوحٍ وجميعِ ما يحملهُ ملقى على الأرضِ ، جميعُ الأدراجِ مفتوحةً ، أوراقُ وصورُ ملقيهِ هنا وهناكَ في عشوائيةٍ ، الصندوقُ الصغيرُ الخاصُ بحملِ الذهبِ ملقى فوقَ الفراشِ ، فارغا منْ كلِ محتوياتهِ ،

شهقتْ في فزعٍ ، وكانَ الغريبُ في الأمرِ _ رغمَ كلِ ذلكَ _ أنَ خزانةَ الملابسِ مغلقةً ، دنتْ منها في خوفٍ وووووو . . . ، فتحتْ خزانةَ الملابسِ ببطءٍ شديدٍ ، وهنا . . . هنا بالتحديدِ ، أطلقتْ صرخةً عاليةً دوتْ في أرجاءِ الغرفةِ ، كانَ ذلكَ وهيَ تتراجعُ إلى الخلفِ بسرعةٍ غيرُ طبيعيةٍ يقودها الفزعُ ، مما أدى إلى تعثرها وسقوطها فوقَ الفراشِ . . .

.....

بعدُ مرورِ عدةِ ساعاتٍ ، وداخلَ الوحدةِ رقمِ (12) ، وقفُ عيسى واضعا يدهُ اليمنى في جيبِ سروالهِ ، وتداعبَ سبابةَ وإبهامِ يدهِ الأخرى أسفل ذقنهِ الحليقِ ، وهوَ يتأملُ الغرفةَ التي أحيلتْ إلى مسرحِ جريمةٍ غامضةٍ ، تفحصَ نظراتهِ الحادةَ مثل ذكاءهُ كلَ شيءٍ منْ حولهِ ، جثةُ المرأةِ الراقدةِ فوقَ الفراشِ ، عيناها الجاحظةَ في ذهولٍ ، فمها المفتوحُ على آخرهُ ، علاماتُ الفزعِ المرتسمةِ فوقَ وجهها ، بقعُ الدماءِ ذاتِ اللونِ الأحمرِ القاني ، التي تظهرُ عندَ معدتها وفي منتصفِ نهديها الصغيرانِ ، ساقيها المتدليتانِ فوقُ الملابسِ المتناثرةِ على الأرضِ ، الصورُ والأوراقُ الملقاةُ في عشوائيةٍ في كلِ جانبٍ ، الصندوقُ الصغيرُ المكسوّ بالقطيفةِ الحمراءِ ، الملقى بالقربِ منْ رأسها وهوَ مفتوحٌ معلنا عنْ عدمِ احتوائهِ على شيءٍ ، خزانةُ الملابسِ المفتوحةِ على مصراعيها ، الفارغةَ منْ كلِ محتوياتها ، حتى الأرففِ الخشبيةِ التي ترصُ فوقها الملابسُ ، الكونودْ ذو الأدراجِ المفتوحةِ ، تنتقلَ عيناهُ منْ شيءٍ إلى آخرَ . _ عيسى بيهْ . كانَ ذلكَ صوتُ حسنِ مساعدهِ الذي وقفَ في الرواقِ أمامَ بابِ الغرفةِ . _ شاشُ شاشِ شاشٍ . قالها عيسى وهوَ يلوحُ لهُ في الهواءِ ، بأصابع يدهُ المضمومةُ على بعضها بجانبِ رأسهِ ، دونُ أنْ ينظرَ إليهِ ، في إشارةٍ للالتزامِ بالصمتِ والانتظارِ ، حتى لا يمزقُ حبالَ أفكارهِ التي يحيكها داخلَ جمجمتهِ الصغيرةِ ؛ دنا منْ الجثةِ بحرصٍ شديدٍ ، وتفرسَ في وجهها بهدوءٍ وتركيزٍ ، نظرٌ إلى بقعتيْ الدماءَ الصغيرتانِ المتجمدتانِ عندُ شحمتي أذنيها ، وهزَ رأسهُ في علامةٍ تدلُ على اكتشافِ شيءٍ جديدٍ ، ثمَ خطى ثلاثةِ خطواتٍ صوبَ خزانةِ الملابسِ ، دققَ النظرُ في سقفها منْ الداخلِ ، ثمَ أخرجَ هاتفهُ وأضاءَ الكشافُ ورفعهُ نحوَ السقفِ ، كانتْ هناكَ بقعةٌ صغيرةٌ جدا ، مدُ سبابتهِ تجاهها وتحسسها ، ثمَ تحركتْ أرنبةَ أنفهِ وهوَ يتشممُ رأسَ إصبعهِ ، وعادَ يفحصُ الخزانةَ منْ الأعلى إلى الأسفلِ ، ثمَ جلسَ القرفصاءَ وبدأَ يمسحُ أرضيةَ الدولابِ بنظراتِ دقيقةٍ ، كانتْ هناكَ شروخٌ في الأرضيةِ الخشبيةِ للخزانةِ ، ثمَ وقعتْ عينيهِ على شيءٍ صغيرٍ ، مدُ يدهِ وبأطرافِ أصابعهَ ظفرَ بهِ ثمَ أنتصبُ واقفا ، قربَ هذا الشيءِ منْ أنفهِ المستقيمِ ، والذي كانَ عبارةً عنْ قطعةِ بنيةِ اللونِ ، تشبهَ الصلصالَ ومغلفةً بطبقةٍ منْ السلوفاني ، حينُ تشممها ظهرتْ ابتسامةً سريعةً على ثغرةِ الأيسرِ ، ثمَ دسها في جيبهِ في صمتٍ ، وبدأَ يدورُ في الغرفةِ بخطواتٍ بطيئةٍ ، نظرٌ إلى الصور التي كانتْ تظهرُ المجنيَ عليها وهيَ ترتدي فستانَ الزفافِ الأبيضِ وتحتضنُ زوجها بحرارةٍ واضحةٍ ، كانتْ البهجةُ تبدو على وجهِ كلا منهما ، ثمَ انتقلَ بعينهِ إلى أخرى يجلسُ الزوجُ فوقَ ركبتهِ اليمنى ببدلتهِ السوداءِ ، وهوَ يمسكُ بيدها ويقبلها وعيناهُ معلقتانِ على عينيها اللامعةِ التي تطلُ عليهِ منْ علَ ، وبعضَ الصورِ الأخرى توثقُ لحظاتٍ سعيدةً بينهما في أماكنَ مختلفةٍ ، أما عنْ الأوراقِ ف كانتْ ما بينَ عقدِ العقارِ وبضعةِ روشتاتٍ طبيةٍ ، أنهى بحثهُ خلالَ دقائقَ ثمَ غادرَ الغرفةَ .

.....

في صالةِ الجلوسِ كانَ عيسى واضعا ساقَ فوقَ أخرى ، يتأملَ ملامحَ الشابِ الجالسِ أمامهُ ، الذي قدمهُ لهُ مساعدهِ حسنْ للتوِ ، وأخبرهُ أنهُ على زوجِ المجنيِ عليها ، كانَ قمحيٌ البشرةِ ، قصيرِ القامةِ ، يرتدى عويناتٌ طبيةً ، ذو وجهٍ مستديرٍ ، وعينانِ ضيقتانِ حمراوانِ منْ أثرِ البكاءِ ، تنحنحَ عيسى قبلَ أنْ يسألهُ قائلاً : _ كيفَ اكتشفتْ الجريمةُ ؟ _ الأمرُ كلهُ حدثَ عنْ طريقِ الصدفةِ . قالها ثمَ صمتٍ للحظةِ وعادَ يسترسلُ ، قالَ : " منذُ اتفقنا على الفراقِ ، وعادَ كلا منا إلى منزلِ عائلتهِ ، اعتدتْ على زيارةِ الشقةِ مرةَ كلِ أسبوعٍ ، منْ أجلِ جلبِ بعضِ الملابسِ ، وأيضا منْ بابِ الاطمئنانِ على المكانِ ودفعِ الفواتيرِ ، وأحيانا منْ أجلِ الانفرادِ بالذاتِ ، عادةٌ أقومُ بذلكَ في يومِ الخميسِ ، لأنهُ نهايةُ الأسبوعِ واليومِ السابقِ ليومِ العطلةِ الرسميةِ " توقف للحظةِ خلعِ خلالها نظارتهُ وفركَ عينيهِ وأخرجَ مخاطُ أنفهِ عبرَ منديلٍ ورقيٍ ، كانَ عيسى ينصتُ إليهِ في اهتمامٍ ، حينُ تسائلُ حسنْ قائلاً : _ لكنَ اليومَ هوَ الثلاثاءُ ، ما الذي جعلكَ تخالفُ عادتكَ المعتادةَ على حدِ قولكَ ؟ هزَ رأسهُ وكانتْ عيناهُ شاردةً ، وأجابَ : _ سأخبركُ الآنَ . تحركتْ شفتاهُ وقبل أنْ يتحدثَ تسللتْ إلى أذانِ الجميعِ صرخاتٍ مدويةً ، التفتَ جميعُ الرؤوسِ تلقائيا تجاهَ الصوتِ ، كانتْ امرأةُ عجوزٍ نحيفةٍ ، فارعةً الطولِ ولديها انحناءةٌ

واضحةٌ أسفلَ عنقها ، تستندَ على يدِ امرأةٍ أخرى بدينةٍ ، سمراءَ البشرةِ . _ ممنوع الدخولِ يا حاجةٌ . قالها العسكريُ الواقفُ أمامَ بابِ الشقةِ _ هلْ جننتْ ، كيفَ لكَ أنْ تمنعها منْ دخولِ بيتِ ابنتها ! ، سنعبرُ رغما عنْ انفكَ . قالتها المرأةُ السمراءُ وهيَ تدفعُ كتفَ العسكريِ محاولةَ العبورِ بالقوةِ ، صاحَ حسنْ متسائلاً : _ ماذا هناكَ يا بني ؟ _ هاتانِ المرأتانِ يريدانِ العبورُ بالقوةِ يا أفندم . _ إنها حماتي . قالها الزوجُ وهوَ ينتصبُ واقفا ثمَ اتجهَ نحوها ، نظرُ حسنْ إلى عيسى ، الذي أشارَ بيدهِ إلى العسكريِ ف سمحَ لهنَ الأخيرُ بالدخولِ . _ أينَ هيَ ابنتي يا علي ؟ _ اهدئي - منْ فضلكَ - . _ أجبني فورا ، ماذا حدثَ لها ؟ كانتْ تصرخُ في وجههِ متسائلةً ، والدموعُ تنسابُ منْ تحتِ وعيناتها الطبيةَ دائريةُ الشكلِ ، مالُ عيسى على إذنِ حسنْ وهمسَ لهُ ببضعةِ كلماتٍ _ وهوَ يشيرُ إليهِ بإيماءةٍ بسيطةٍ صوبَ المرأةِ ، التي كانتْ تلهثُ منْ فرطِ الانفعالِ وتقدمَ العمرُ ، تقدمٌ حسنٌ نحوها وبطريقتهِ الخاصةِ جعلها تجلسُ فوقَ أريكةِ الصالونِ بالقربِ منْ عيسى ، الذي قالَ لها مواسيا : " اهدئي يا أمي منْ فضلكَ ، ابنتكَ بخيرٍ " ، وعلى الرغمِ منْ أنَ كلماتهِ البسيطةَ _ استطاعتْ تقليلَ موجةِ غضبِ الأمِ _ ولوْ بنسبة ضئيلةٍ ، إلا أنها لمْ تكفْ عنْ مسحِ المكانِ ببصرها بحثا عنْ نجلتها ، ويدها فوقَ صدرها الذي يعلو ويهبطُ ، وبصوتٌ مبحوحٍ صاحتْ متسائلةً : " أينَ هيَ إذنٌ ؟ " ، ثمَ قفزتْ منْ جلستها وبصوتٍ أكثرِ حزنِ وحدةٍ قالتْ : _ أريدُ رؤيةُ ابنتي الآنَ . جذبُ عيسى يدِ حسنْ ، وأخبرهُ بصوتٍ خفيضٍ أنْ يتعاملَ معَ الأمرِ ، وقالَ لهُ موضحا : " يجبَ أنْ تواجهَ المرأةُ قدرها على كلِ حالٍ ، أخبرها بحقيقةِ الأمرِ وانتظرَ حتى تمرَ لحظاتُ الصدمةِ ، وإنهاءُ فريقِ البحثِ الجنائيِ عملهمْ ، ثمَ أفرغَ الشقةَ منْ كلِ الحاضرينَ ، وأحضرَ لي الزوجُ وحارسُ العقار ، سوفَ أنتظركُ في مكتبي " ، وحينُ همَ على مغادرةِ المكانِ ، لاحقهُ حسنْ وتسائلُ : " ماذا عنْ الأمِ ؟ ، هلْ أحضرها لسيادتكَ أيضا " ، " لا ، فهيَ لنْ تكونَ مستعدةً للتحقيقِ بعد ، دعها الآنَ " قالَ ثمَ رمقِ المرأةِ السمراءِ البدينةِ المرافقةِ للأمِ بنظرةٍ فاحصةٍ ، وقبلٌ أنْ يغادرَ في هدوءٍ أضافَ : " ولا تنسى _ أنْ تعرفَ لي _ منْ تكونُ هذهِ الشمطاءِ البدينةِ "

.....

بعدُ مرورِ بعضِ الوقتِ ، جلسَ عيسى في مكتبهِ يرشفُ قهوتهُ ويدخنُ في صمتٍ ، أمامهُ ورقةٌ بيضاءٌ وقلمٌ جافٌ أسودَ ، بدأَ يسترجعُ أفكارهُ ويتذكرُ ملاحظاتهِ حولَ الأمرِ لكيْ يلفظها خارجَ رأسهِ ويدونها على الورقِ . أمسكَ القلمُ وبدأَ يكتبُ 1 _ الأمرُ يبدو سرقةً . 2 _ صدمةٌ . 3 _ فارع . 4 _ زيتونٌ . 5 _ شروخٌ . 6 _ مخدرٌ . 7 _ فاجأهُ . 8 _ اكتشافٌ . 9 _ خوفٌ . 10 _ حقدٍ . ثمَ ألقى القلمُ جانبا ، وقامَ بطويْ الورقةُ _ حتى تقلصِ حجمها ، وأحيلتْ إلى شكلٍ مربعٍ صغيرٍ جدا ، بعدُ ذلكَ قامَ بدسها داخلَ الجيبِ الخلفيِ منْ سروالهِ ، أشعلَ لفافةَ تبغٍ وأراحَ ظهرهُ إلى الخلفِ ، أغمضَ عينيهِ وغرقٍ في محيطِ أفكارهِ العميقةِ ، ينفثَ الدخانُ في هدوءٍ صامتٍ ، يمكنكَ سماعُ نبضِ عقربِ الثواني الذي يدقُ بانتظامٍ ، لمْ يكنْ عيسى منْ هؤلاءِ الذينَ يمقتونَ هذا الصوتِ الذي يشعرهمْ بالتوترِ ، لكنهُ على النقيضِ _ هوَ يستمتعُ بهِ _ لأنهُ يعشقُ كلُ شيءٍ دقيقٍ .

.....

_ يمكنكَ الآنَ أنْ تستأنفَ ما بدأتهُ ، هيا أخبرنا عنْ سببِ ذهابكَ إلى الشقةِ في ذلكَ اليومِ . هكذا بدأَ عيسى حديثهُ معَ (على) زوجِ المجني عليها ، سعلَ قبلَ أنْ يتحدثَ قائلاً : _ في الصباحِ ، حدثتْ مشادةً كلاميةً بيني وبينَ رئيسيٍ في العملِ ، والسببُ هوَ تقصيريٌ وقلةُ نشاطي ، وتركيزي الذي تقلصَ هذهِ الفترةِ ، وبلا ريبٍ كانَ السببُ الرئيسيُ في ذلكَ ، هوَ توترُ علاقتي الأسريةِ ، أوْ حتى أكونَ دقيقا علاقتي بزوجتي ، لقدْ وصلنا إلى نهايةِ ممرٍ مظلمٍ بلا مخرجٍ . _ تقصدَ مشكلةَ الإنجابِ ؟ دهشَ حسنْ حينَ سمعَ ذلكَ ، أما على ف كانَ انزعاجهُ أقوى منْ دهشتهِ ، نظرٌ إلى عيسى بوجهٍ متجهمٍ وحاجبانِ منعقدانِ ، وفي غضبٍ تسائلُ : _ كيفَ علمتْ ذلكَ ؟ كانَ عيسى يشعلُ لفافةَ تبغٍ حينَ أجابَ : _ لقدْ وقعتْ عيني على بضعةِ روشتاتٍ طبيةٍ يحتلُ اسمكَ فيها خانةُ المريضِ . انتكسَ رأسُ علي وأكملَ قائلاً : " لقدْ فعلتْ كلَ ما بوسعي حيالَ ذلكَ ، لكنهُ أمرَ اللهُ وحكمتهُ ، وكانتْ رحمهُ اللهُ عليها ترغبُ بشدةٍ في الإنجابِ ، لذلكَ اتفقنا أنْ نفترقَ لبعضِ الوقتِ ، حتى تأخذَ هيَ مساحةُ كافيهِ للتفكيرِ وتتوصلُ إلى قرارها النهائيِ ، إما الاستمرارُ والتخلي عنْ حلمِ الأمومةِ ، أوْ الطلاقِ والانفصالِ إلى الأبدِ ، وعندما حدثتْ المشادةُ الصباحيةُ معَ مديري ، دفعني ذلكَ للذهابِ إلى الشقةِ لاتخاذِ قرارٍ يحددُ مصيريٌ معَ زوجتي ، وعندما وصلتْ إلى هناكَ وأولجتْ مفتاحي في القفلِ علمتْ أنها بالداخلِ ، وبالفعلِ فورَ دخولي

وجدتْ حقيبةَ يدها ملقاةً فوقَ كرسيِ الصالونِ ، سعدتُ جدا لوجودها ، وكأنَ كلَ الهمومِ التي كانتْ تثقلُ على عاتقي تبخرتْ مثلٌ الدخانِ ، شعرتُ في هذهِ اللحظةِ بالذاتِ كم كنتُ مشتاق إليها ، تسللتْ على أطرافِ أصابعي لأفاجئها بوجودي ، وهنا رأيتها وهيَ . . . هيَ . . . " وهنا فقدَ السيطرةَ على ذاتهِ وانفجرَ في البكاءِ ، تبادلُ حسنْ وعيسى النظراتِ ، ثمَ غادرَ الأخيرُ كرسيهُ ودارَ حولَ المكتبِ ، وبعدما دنا منْ على ربتْ بلطفِ فوقَ رأسهِ مواسيا ، وبنظرةٍ ذاتِ معنى غادرَ حسنُ كرسيهِ واحتلَ عيسى مكانهُ ، أصبحَ في مواجهتهِ تماما ، وقالَ : _ منْ فضلكَ أهدأ ، اعلمْ أنَ ما حدثَ ليسَ بالأمرِ اليسيرِ ، لكنهُ قضاءُ اللهِ كما تعلمَ . كانَ حسنْ جالسا على كرسيِ الصالونِ الجلديِ ، يراقبَ المشهدُ في تعجبَ لا يختلفُ كثيرا عما كانَ باديا على وجهِ الكاتبِ الأسمرِ ، الذي كانَ جالسا في إحدى زوايا الغرفةِ ، يعبثَ بالقلمِ القابعِ بينَ أصابعهِ منتظرا استئنافَ التحقيقِ ، حينُ سحبِ عيسى لفافةَ تبغٍ وقدمها للمدعوِ على ، الذي رفضَ موضحا : _ مثلٌ يدخنُ . _ هلْ كانَ هناكَ شيءٌ سمينٌ في الشقةِ يمكنُ سرقتهُ ؟ ، على سبيلِ المثالِ نقودِ أوْ أيِ متعلقاتِ ذهبيةٍ ؟ فكرٌ للحظةٍ ثمَ أجابَ : _ كانتْ نرمينْ رحمها اللهُ تحتفظُ بمتعلقاتها الذهبية في صندوقٍ خشبيٍ صغيرٍ داخلَ خزانةِ الملابسِ . قالها ثمَ عادتْ الدموعُ تنسابُ منْ عينيهِ مرةً أخرى ، همهمَ عيسى قبلَ أنْ يقولَ : _ يمكنكَ الذهابُ الآنَ ، لكني سوفَ احتاجَ لكَ في وقتٍ لاحقٍ . شكرهُ علي وغادرَ وهوَ يجففُ وجنتيهِ بمنديلٍ ورقيٍ .

.....

_ أخبرني يا عمُ صابرْ . هكذا بدأَ عيسى تحقيقهُ معَ حارسِ العقارِ _ تحتَ أمرِ سيادتكَ يا بيكْ . _ هلْ قابلتْ مدامُ نرمينْ صباحَ اليومِ ؟ _ نعمَ ، قابلتها يا بيكْ ، كانتْ الساعةُ ما بينَ العاشرةِ والعاشرةِ والنصفِ تقريبا . ثمَ سردَ عليهِ ما حدثَ حتى صعدتْ المصعدَ . _ هلْ رأيتُ الأستاذُ على حينِ جاءَ اليومِ ؟ _ الكذبُ خيبةَ سيادتكَ ، لمْ أراهُ اليومَ قط ، مؤكد أنهُ جاءَ حينَ كنتَ أبتاعُ بعضُ الطلباتِ لأحدِ السكانِ . _ هلْ زوجُ المجنيِ عليها كانَ يترددُ كثيرا على زيارةِ الشقةِ ؟ خرجتْ الكلماتُ منْ فمهِ دونَ تفكيرٍ ، قالَ : _ منذُ غادرا الشقةُ وبعدما أصبحَ كلا منهما يأتي وحدهُ كلَ فترةٍ ، اعتدتُ أنْ أراهُ في يومِ الخميسِ منْ كلِ أسبوعٍ خلالَ الشهرينِ السابقينَ . _ ألمٌ يأتي وفي صحبتهِ أحد خلالَ تلكَ الفترةِ ؟ تسائلَ حسن ، حكُ صابرْ رأسهِ التي تحيطها عمامةٌ ضخمةٌ ، ثمَ ب لكنتهِ الصعيديةِ قالَ : _ لمْ يحدثْ ذلكَ إلا مرةً واحدةً فقطْ . أومأ حسنْ برأسهِ ، ثمَ أشارَ لهُ بسبابتهِ أنْ يكملَ _ كانَ ذلكَ منذُ شهرٍ تقريبا ، جاءَ وبصحبتهِ شخصينِ أظنُ أنهما أصدقاءهُ ، أذكرُ أنَ أحدهما طلبَ مني أنْ أبتاعَ لهمْ مشروباتٌ غازيةٌ ، وبعضَ الأشياءِ التي يستمتعُ بشرائها الأطفالَ ، مثلٌ أكياسِ للسيبسي والبوذذْ والشكاليتهْ . _ ألمٌ يصدرُ منهمْ أيَ فعلٍ غريبٍ في هذا اليومِ ؟ سألهُ حسنْ وهوَ يقدمُ لهُ لفافةُ تبغٍ ، أبتسمُ عيسى بجانبِ فمهِ وهوَ يراقبُ المشهدُ في صمتٍ ، شكرهُ عمَ صابرْ وهوَ يربتُ فوقَ عمامتهِ وصدرهِ كإشاراتٍ واضحةٍ تعبرُ عنْ الامتنانِ ، أشعلَ اللفافةَ وبدأَ يتذكرُ ، ثمَ تحدثَ قائلاً : " عندما صعدتْ إليهمْ لأعطيهمْ الطلباتُ ، كانَ ذلكَ بعدَ مرورِ نصفِ الساعةِ تقريبا ، لأنني انتظرتْ الزحامَ الذي كانَ داخلِ محلِ البقالةَ ، وقبلٌ أنْ اضغطٌ زرَ الجرسِ ، سمعتْ ضحكاتٌ عاليةٌ تأتي منْ الداخلِ ، وكنتُ أتوقعُ أنْ يفتحَ لي الأستاذُ على ، لكني تفاجأتْ حينَ ظهرَ لي صديقهمْ الثالثِ ، مبتسما ابتسامةً بلهاء بلا معنى ، وكانتْ عيناهُ حمراء كمنَ انتهى منْ السباحةِ في البحرِ المالحِ للتوِ ، وكانَ المكانُ منْ خلفهِ ممتلئٍ بالدخانِ ، وعندما تسربتْ الرائحةُ إلى أنفيَ علمتْ على الفورِ ، أنهمْ يضبطونَ الطاسةَ ، وهذا كلُ شيءٍ " _ وكيفَ اكتشفتْ الجريمةُ ؟ قالَ عيسى متسائلاً : _ سمعتْ صوتَ الأستاذِ على يصيحُ مناديا منْ الأعلى ، وكانَ يدقُ بقضيتهِ فوقَ بابِ المصعدِ ، صعدتْ الدرجَ ركضا حتى الطابقِ السادسِ ، وجدتهُ مفزوعا مثل فأرٍ ، وجسدهُ ينتفضُ بقوةٍ وعيناهُ جاحظةً ، كانَ يشيرُ إلى الشقةِ بسبابةٍ ترتعدُ دونَ أنْ ينطقَ ، لأنَ لسانهُ انعقدَ منْ الصدمةِ ، وعندما مللتُ منْ سؤالهِ ، هرعتْ إلى الداخلِ وظللتُ أبحثُ عما كنتَ أظنهُ لصا ، حتى رأيتُ هذا المشهدِ البشعِ . _ وماذا عنْ السكانِ ؟ _ بعضُ الشققِ مغلقةً لأنَ أصحابها يعيشونَ بالخارجِ ، والبعضُ الآخرُ يقضونَ إجازةُ الصيفِ على شواطئِ البحارِ ، لا يوجدُ منهمْ إلا مدام رانيا ، وهيَ امرأةُ عجوزٍ لا تغادرُ شقتها ، وهيَ منْ كنتَ أبتاعُ لها بعضِ المشترياتِ ، لذلكَ لمْ أرى أستاذٌ على حينِ جاءَ اليومِ . _ وما رأيكَ في المجنيِ عليها ؟ _ رحمها اللهُ ، كانتْ فتاةٌ طيبةٌ وابنةُ ناسٍ طيبينَ . تدخلُ حسنْ متسائلاً : _ ألمٌ يحدثُ أيَ موقفٍ غريبٍ جمعكما وعلقَ بذاكرتكَ ؟ حكُ عمِ صابرْ شاربهِ العريضِ ، ثمَ أجابَ قائلاً : _ نعمْ يا بيكْ ، ذاتَ يومٍ خرجتْ منْ غرفتيْ مفزوعا ، حينُ سمعتْ صوت أنثويٍ يصيحُ مناديا على منْ الخارجِ ، وجدتها تقفُ أمامَ بابِ المصعدِ ، الذي لا يفصلُ بينهُ وبينَ بابِ غرفتيْ سوى خطوتينِ ، كانتْ تبكي وهيَ مذعورةٌ إلى حدٍ بعيدٍ ، وحينُ سألتها عنْ السببِ ، أخبرتني أنَ هناكَ فأرٌ يلهو في شقتها ، وأنها لا تستطيعُ انتظارَ زوجها حتى يعودَ منْ عملهِ ، وطلبتْ مني أنْ أتعاملَ معَ الأمرِ ، وبالفعلِ صعدتْ معها وقمتُ بما يجبُ على فعلهِ ، حتى أنها رفضتْ أنَ تدخلَ الشقةِ إلا عندما جعلتها تشاهدُ جثتهُ بينَ يدي ، ثمَ غادرتها وأنا أضحكُ كما لمْ أضحكْ منْ قبلٍ . هزَ عيسى رأسهُ متفهما ، ثمَ سمحَ لهُ أنْ يغادرَ .

.....

_ بنسبةٍ كبيرةٍ _ أظنُ أنَ زوجَ المجنيِ عليها _ هوَ منْ ارتكبَ الجريمةَ . قالها حسنْ بعدما انفردَ بعيسى وأصبحا وحدهما بلا ثالث ، أجابَ عيسى بسؤالٍ قالَ : _ وماذا عنْ الفوضى التي رأيناها في الغرفةِ ؟ _ مجردُ تمويهِ منْ أجلِ تضليلنا وتشتيتُ انتباهنا ، حتى يظهرَ الأمرُ وكأنهُ جريمةُ سرقةٍ أدتْ إلى قتلٍ . أصدرَ عيسى صوتُ منْ فمهِ ، يشبهَ صوتُ ارتطامِ الزجاجِ ببعضهِ ، ثمَ غمزَ بعينهِ اليسرى في إشارةٍ واضحةٍ تدلُ على اعتراضهِ ، أشعلَ لفافةَ تبغٍ ثمَ استندَ بكوعيهِ فوقَ مكتبهِ ، نظرٌ إلى مساعدهِ قبلَ أنْ يقدمَ لهُ لفافةُ تبغٍ ، وانتظرَ حتى أشعلها لنفسهِ ، ثمَ تحدثَ قائلاً : _ شرفُ يا حسنْ ، قبلُ أيَ شيءٍ ، اسمحْ لي أنْ أخبركَ بأنَ الزوجَ لمْ يفعلها . أراحَ حسنُ ظهرهِ إلى الخلفِ ، وانعقدَ حاجبيهِ ودفعهُ الفضولَ أنْ يتساءلَ : _ كيفَ ذلكَ ؟ ، وما سرُ هذهِ الثقةِ التي جعلتْ سيادتكَ تقولُ ذلكَ ؟ ابتسمَ عيسى بهدوءٍ ، ثمَ قالَ : _ تقريرُ الطبِ الشرعيِ يوضحُ عدمَ وجودِ أيِ بصماتٍ للجاني ، لكنَ دعني أخبركُ أنَ القاتلَ فارعُ الطولِ ، وعلى قصيرِ القامةِ ، ألمْ تلاحظُ ذلكَ ؟ طرقهُ حسنُ أصابعهِ في حيرةٍ ، وقالَ : _ نعمَ لاحظتْ ، لكنْ كيفَ علمتْ أنَ الفاعلَ طويلٌ القامةِ ؟ نفثَ عيسى سحابةً كثيفةً منْ الدخانِ ، ثمَ غادرَ كرسيهُ ، وبدأَ يسيرُ بخطواتٍ بطيئةٍ داخلَ غرفةِ المكتبِ وهوَ يشرحُ لهُ الأمرُ بهدوءٍ ، قالَ : " الأمرُ بسيطٌ جدا ، يتعلقَ بقوةِ الملاحظةِ ، عندَ دخولي الغرفةَ _ لاحظتْ أنَ الأرففَ الخشبيةَ للخزانةِ _ ملقيهُ فوقَ الملابسِ المتناثرةِ على الأرضِ ، سألتْ نفسي قلتْ : " لماذا قامَ الشخصُ الذي كانَ واضحا منْ الفوضى الذي أحدثها ، أنهُ كانَ يبحثُ عنْ شيءٍ ما داخلَ الخزانةِ ، بإفراغها منْ الأرففِ الخشبيةِ التي لنْ تعنيَ لهُ شيئا ؟ " ، وبعدٌ عدةِ دقائقَ منْ تحليلِ الأمرِ ، لمْ أجدْ سوى إجابةٍ واحدةٍ لا ثاني لها ، أنهُ لمْ يفعلْ ذلكَ إلا عندما شعرَ بوجودِ أحدِ خارجِ الغرفةِ ، لذلكَ ارتبكَ _ وبطبيعةِ الحالِ كانَ عليهِ أنْ يختبئَ ، وكانتْ الخزانةُ هيَ المكانُ الأنسبُ لهُ ، وبالطبعِ هذا الكلامِ لا ينطبقُ على الزوجِ ، الذي لا حاجةَ لهُ في الاختباءِ " _ حضرتكَ تقصدُ بهذا أنهُ لصٌ ؟ ، ولنفترض ذلكَ ، لماذا تعتقدُ سيادتكَ بأنهُ فارعُ الطولِ ؟ ، وما دخلَ الأرففَ الخشبيةَ في ذلكَ ؟ ضحكَ عيسى وأصابعهُ تتخللُ خصلتْ شعرهُ البيضاءُ ، التي تقعُ عندَ الجانبِ الأيمنِ منْ مقدمةِ رأسهِ ، ثمَ مبتسما قالَ : " أنتَ متسرعٌ كعادتكَ يا حسنٌ ، لكني سوفَ أجيبكُ _ لأخلصكَ منْ علاماتِ الاستفهامِ _ التي تدورُ داخلَ رأسكَ ، أولاً _ نعمَ أظنُ أنهُ لصٌ ، لكَ أنْ تعتبرهُ شكٌ مؤقتٌ ، ثانيا _ عندما فحصتْ الخزانةُ لأكدَ ظنوني ، رأيتُ شروخٌ في أرضيتها الرقيقةِ ، مما يدلُ على ضغطِ إقدامِ أحدهمْ ، ثالثا _ في سقفها وجدتْ بقعةَ زيتٍ برائحةِ الزيتونِ ، مما يدلُ على أنها منْ أثرِ احتكاكِ فروةِ رأسِ نفسِ الشخصِ ، لذلكَ أخبرتكَ أنَ الجانيَ فارعُ الطولِ ، أما عنْ الزوجِ _ مؤكدٍ أنكَ لاحظتْ _ عندما ربتْ على رأسهِ ، كنتَ أتحسسُ شعرهُ الذي كانَ خشنا ثابتا منْ أثرِ الْ چ ل ، وكانتْ محاولةٌ لإثباتِ شكوكي ، لا يوجدُ چ ل برائحةِ الزيتونِ ، ولنْ تسمحَ لهُ قامتهِ منْ الأساسِ _ بأنَ تلامسَ رأسهِ سقفَ الخزانةِ ، وهذا هوَ السببُ في نزعِ الأرففِ الخشبيةِ ، حتى يستطيعَ الجاني الوقوفُ منتصبا ، لأنهُ كانَ يتأهبُ للمواجهةِ معَ الزائرِ المفاجئِ ، هلْ فهمتْ ؟ " اعتلتْ وجهَ حسنِ ابتسامةٍ واسعةٍ وهوَ يصفقُ لهُ في إعجابٍ ، ثمَ قالَ : _ ما شاءَ اللهُ ، سيادتكَ دائما تبهرني بتحليلكَ للأمورِ ، حضرتكَ مدرسةً يجبُ أنْ نتعلمَ منها جميعا ، منْ حسنِ حظي أنني برفقتكَ ، وهذا شرفٌ كبيرٌ لي . _ وأنا سعيدٌ بوجودكَ معي ، لأنكَ تساعدني في رؤيةِ الأمورِ بشكلِ أكثرَ وضوحا . سعدْ حسنْ جدا بهذا المدحِ ، وشعرَ برغبةٍ في زيادةِ الإستفامْ _ كيفَ ذلكَ يا أفندم ؟ _ أسئلتكَ الذكيةُ ، التي تنبشُ بها قبورَ الحقائقِ . _ حقا ؟ _ بالطبعِ ، الدليلُ على ذلكَ ، أنكَ أضفتْ إلى معلوماتيٍ شيئينِ في غايةِ الأهميةِ ، أولاً جعلتني أعلم أنَ المجنيَ عليها منْ النوعِ الرقيقِ ، الذي يخشى كلُ شيءٍ ، وثانيا بفضلِ أسئلتكَ العبقريةِ ، اتسعتْ دائرةَ الاتهامِ وانضمَ إليها شخصينِ آخرينِ . _ ماذا تقصدُ معاليكَ ؟ _ المجنيُ عليها شخصيةٌ مسالمةٌ إلى حدٍ كبيرٍ ، امرأةٌ تخشى مواجهةَ فأرٍ ، بناءٌ على روايةِ الحارسِ ، كيفَ سيكونُ حالها عندَ رؤيةِ لصٍ ؟ ، بالطبعِ لنْ تجرؤَ على التصدي لهُ أوْ مقاومتهِ أوْ منعهِ منْ الهروبِ بما ظفرَ بهِ ، بالتالي يمكنُ السيطرةَ عليها بنظرةٍ شريرةٍ وبضعَ كلماتِ تهديدٍ بنبرةٍ قويةٍ ، ربما لوْ كانَ صاحَ بها أنْ تلتزمَ الصمتَ حتى يغادرَ ، كانتْ ستنصاعُ إلى أمرهِ ، لكنَ الأمرَ أكبرَ منْ ذلكَ . _ أرجو منْ سيادتكَ التوضيحَ أكثرَ . _ هناكَ معرفةٌ سابقةٌ بينهما ، وبناءٌ على ذلكَ ، حدثتْ عمليةَ السرقةِ بعدَ تخطيطٍ منْ الجاني ، لأنهُ لمْ يعبثْ في شيءٍ سوى غرفةِ النومِ ، وهذا يدلُ على معرفةِ الجاني بوجودِ الذهبِ ، لأنهُ لمْ يقومَ بسرقةِ أيَ شيءٍ آخرَ ، على الرغمِ منْ وجودِ أشياءَ ثمينةٍ ومغريةٍ لأيِ لصٍ ، لذلكَ عندما رأتهُ رؤى العينِ تعرفتْ عليهِ بالطبعِ ، وهنا وجدَ أنَ قتلها أمرا لا بدَ منْ حدوثهِ ، حتى لا يفتضحُ أمرهُ . _ توقعاتٌ منطقيةٌ حقا ، لكنَ لدى سؤالٍ أخيرٍ ، لقدْ قلتُ منذُ قليلٍ _ أنَ دائرةَ الاتهامِ اتسعتْ _ وانضمَ إليها شخصينِ ، هلْ قصدتْ صديقايَ زوجُ المجنيِ عليها ؟ أومأَ عيسى برأسهِ أنْ نعمَ ، ثمَ بسطِ يدهِ تجاهَ حسنٍ ، وحينُ فتحَ قبضتهُ ظهرتْ قطعةُ بنيةِ اللونِ مغلفةً ب سلوفانْ ، امسكها حسنَ وقلبها بينَ يديهِ مندهشا ، ثمَ تشممها وانعقدَ حاجبيهِ وهوَ ينظرُ إلى عيسى في عدمِ فهمٍ ، وتسائلَ : _ حشيشْ ! أومأَ برأسهِ إيجابا ، قبلُ أنْ يجيبهُ قائلاً : _ لقدْ وجدتها في إحدى زوايا أرضيةِ الخزانةِ . _ فهمتْ ، إذنٌ ، يجبَ أنْ نحضرهما للتحقيقِ معهما . _ هيا ، افعلْ ذلكَ .

.....

جلسَ عيسى خلفَ مكتبهِ يتفحصُ الرجلُ الجالسُ أمامهُ ، كانَ شابا ثلاثيني ، خمريّ البشرةِ ، نحيف الجسدِ ، ذو لحيةٍ ناميةٍ ومتساويةٍ ، يرتدي ملابسَ كلاسيكيةً ، يجلسَ في ثباتٍ يدلُ على ثقةِ صاحبهِ ، لمْ ينتظرْ أنْ يبدأ عيسى الحديثِ ، تسائلَ : _ لماذا أنا هنا ؟ أشعلَ عيسى لفافةَ تبغٍ على مهلٍ ، متعمدا التباطؤَ في إخراجِ الإجابةِ ، ثمَ قالَ : _ الأمرُ بسيطٌ جدا ، أنتَ متهمٌ بجريمةِ قتلٍ . احمرتْ أذنيهِ ووجنتيهِ ، جحظتْ عينيهِ وابتلعَ ريقهُ بصعوبةٍ بالغةٍ ، وهوَ يرددُ الكلماتِ ببطيء _ ماذا ؟ ، ج ريمة قتلٌ ! . نظرُ عيسى إلى الورقةِ الموضوعةِ أمامهُ وشرعَ في قراءتها بصوتٍ مسموعٍ ، قالَ : " كريمٌ على سالمْ ، 32 سنةٍ ، مديرُ مبيعاتٍ " ، ثمَ زمنِ شفتيهِ وهمهمْ قبلَ أنْ يضيفَ " تمامٌ " ، ثمَ نظرَ إليهِ وسألهُ : _ أخبرني يا كريمٌ ، ماذا تعرفُ عنْ المرحومةِ ؟ _ أنا لا أفهمُ ، عنْ أيِ شيءٍ تتحدثُ ؟ _ لا داعي للتظاهرِ بالغباءِ ، كنَ واضحا أفضلَ لكَ ، الباشا يسألكَ عنْ نرمينْ زوجةِ صديقكَ على ، هيا أجبْ ودعِ الأمورَ تسيرُ بيسرٍ وسهولةٍ ، إنَ كنتَ تريدُ أنْ تعاملَ بشكلٍ أدميَ . قالَ حسنْ محذرا إياهُ منْ التلاعبِ والمراوغةِ ، واكتفى كريمٌ بنظرةٍ إلى وجهٍ حسنٍ ، ذو البشرةِ السمراءِ ، والشاربُ الكثُ المرعبُ ، لذلكَ بدأ حديثهُ قائلاً : _ لقدْ علمتُ بالطبعِ ، بما حدثَ لهذهِ المسكينةِ ، لكني بطبيعةِ الحالِ ، لمْ يخطرْ على بالي أنْ أكونَ متهما في قتلها ، لمْ أراها إلا مرةً واحدةً في حفلِ زفافها ، حتى أنني لمْ أستطيعَ تذكرُ ملامحها ، ولا أظنُ أنها كانتْ تعرفني أيضا ، أليسَ لكلِ جريمةٍ دافعَ ؟ ، ما الذي يدفعني إلى القيامِ بذلكَ ؟ نفثَ عيسى الدخانِ ، وقالَ : _ كلامٌ منطقيٌ فعلاً ، ربما الدافعُ هوَ السرقةُ على سبيلِ المثالِ . انعقدَ حاجبي كريمٌ غضبا ، واعترضَ قائلاً : _ منْ فضلكَ ، لا أسمحُ لكَ ، أتراني لصا ؟ ابتسمَ عيسى بجانبِ فمهِ ، وقالَ : _ لا تدعُ العزةُ تأخذكَ هكذا ، ألمْ يتمُ رفتكُ منْ عملكَ السابقِ ، بسببَ اكتشافِ تلاعبٍ في كشوفِ أسعارِ مبيعاتكَ ، نسيتُ شريككَ فهمي ؟ بوجهٍ تعتليهُ الدهشةُ ، حملقَ كريمٌ في وجهِ عيسى ، ثمَ انتكسَ رأسهُ ومسحُ وجههِ المتعرقْ بيدهِ ، وبعدَ لحظاتٍ منْ الصمتِ ، قالَ : _ لا أعلمُ كيفَ علمتْ بهذا الأمرِ ! ، لقدْ توسلتُ لصاحبِ العملِ أنَ لا يخبرُ أحدا بذلكَ ، حتى لا يدمرُ مستقبليٌ ، لقدْ كانتْ الغلطةُ الأولى والأخيرةُ ، كوني ضعفتْ للحظةٍ لا يعني أنني صرتُ أسيرا ل شيطاني مدى الحياةِ ، في النهايةِ أنا إنسانٌ ، أرجوكُ لا تخبرُ أحدا عنْ هذا الأمرِ ؛ أما بالنسبةِ لما نحنُ بصددهِ الآنِ ، صدقني ، ليسَ لي أيُ شأنٍ بهذهِ الجريمةِ . غادرَ عيسى كرسيهُ ، واتجهَ بخطواتٍ بطيئةٍ صوبَ النافذةِ ، ودونُ أنْ ينظرَ إليهِ سألهُ : _ كمْ مرةٍ ترددتْ على منزلِ صديقكَ على ؟ _ مرةٌ واحدةٌ فقطْ ، ذهبنا أنا وسليمٌ صديقنا بصحبةٍ على ، لكيْ نخففَ عنهُ شعورهُ بالألمِ منْ فراقِ زوجتهِ ، للعلمِ هوَ ليسَ صديقي المقربُ ، مجردُ صديقٍ في العملِ لا أكثر ، لكني تعاطفتْ معَ حالتهِ . رمقهُ حسنْ بنظرةٍ طويلةٍ ، وكانَ يجلسُ في الكرسيِ المقابلِ لهُ ، ثمَ قالَ متسائلاً : _ وما أخبارُ الكيفِ معكَ ؟ سرتْ رعشةً طفيفةً في جسدهِ ، وعضَ على شفتيهِ الجافةِ المتشققةِ ، ونظرَ إلى عيسى الذي ظهرَ شبحُ ابتسامةٍ على ثغرهِ ، وبنبرةِ المحاصرِ بلا مخرجٍ للهربِ ، قالَ : _ تسمحَ لي سيادتكَ ، ممكن أدخنْ ؟ أعلنَ عيسى موافقتهُ بإيماءةٍ بسيطةٍ منْ رأسهِ ، كانَ حسنْ حريصا على التزامِ الصمتِ ، لكيْ يعطيَ مساحةً كافيةً للمتهمِ ، حتى يتفوهَ بالإجابةِ الجيدةِ ، خاصةٌ بعدما تمَ الاستحواذُ على عقلهِ ، هكذا علمهُ عيسى منْ قبلٌ ، بيدٍ مهزوزةٍ أشعلَ كريمُ لفافةِ تبغٍ ، ثمَ نفثَ الدخانُ ، قبلُ أنْ يجيبَ قائلاً : _ لستِ مدمنا ، يحدثَ الأمرُ على فتراتٍ متباعدةٍ ، منْ بابِ تنقيةِ العقلِ منْ التشتيتِ ، وإراحةُ المخِ لمدةِ دقائقَ منْ حمى التفكيرِ ، والرغبةُ الطاغيةَ في الهروبِ منْ الحزنِ ل برهةً منْ الوقتِ . ابتسمَ عيسى ، وضحكَ حسنْ ساخرا ، وقالَ : _ لدينا فيلسوفُ هنا يا عيسى بيهْ . غضبٌ كريمٌ لكنهُ ابتلعَ غضبهُ ، مدُ عيسى يدهُ لهُ بالقطعةِ المغلفةِ ، التي وجدها في الخزانةِ _ واضحٌ أنكَ فقدتْ هذهِ خلالَ زيارتكَ للشقةِ . انتقلتْ عينيهِ بينَ عيسى وحسنٍ ، ثمَ بيدٍ مهزوزةٍ تناولها وتشممها ، ثمَ نظرَ إليها في تعجبَ ، وأعادها إلى يدِ عيسى ، وهوَ يهزُ رأسهُ نفيا ، وقالَ : _ إنها ليستْ لي ، الصنفَ المتاحِ شديدِ السوءِ والسوادِ . انتهتْ الجلسةُ ، وأخبرهُ عيسى أنَ الأمرَ لمْ ينتهيَ بعد ، ثمَ طلبَ منْ حسنٍ أنْ يأتيَ بالمدعوِ سليمٍ .

.....

_ سليم خليلْ عمرانْ ، خمسةُ وثلاثونَ عامٌ ، محاسبٌ قانونيٌ ، هلْ معلوماتيٌ صحيحةٍ ؟ قالَ عيسى متسائلاً المدعوَ سليمٌ ، أوماً برأسهِ أنْ نعمَ ، وقالَ : _ تمامُ سيادتكَ ، هلْ أنا متهمٌ بشيءٍ ما ؟ قالها والعرقَ ينبثُ على جبينهِ العريضِ ، وكانَ هذا السليمِ قمحيِ البشرةِ ، بدينِ الجسدِ ، نصفٌ أصلعٌ ، قالَ عيسى : _ ما علاقتكَ بالمدعوِ على السيدِ زهرانْ ؟ _ على ! . قالها ثمَ همهمَ وهوَ يهزُ رأسهُ ببطءٍ ، وأضافَ : _ فهمتُ ، نحنُ فقطْ أصدقاءَ عملٍ . _ ما رأيكَ في أخلاقهِ ؟ رفعُ كتفيهِ وهوَ يمطُ شفتيهِ ، وبإشاراتٍ منْ يدهِ قالَ : _ هوَ شخصٌ هادئٌ ، طيب ، يقفَ في منطقةِ الوسطِ بينَ الشخصِ الاجتماعيِ والمنطوي ، خجول ، هذا كلُ شيءٍ . _ وماذا عنْ كريمٍ ؟ قالها حسنْ وهوَ يشعلُ لفافةَ تبغٍ ، انعقدَ حاجبي سليمٌ مندهشا منْ السؤالِ ، ثمَ أجابَ : _ كريمُ شيءٍ آخرَ ، اجتماعي جدا ، صاخب ، مشاكس ، جريءَ . عادَ حسنٌ يسألهُ : _ هلْ قمتُ بزيارةِ منزلٍ على منْ قبلٌ ؟ هزُ عيسى رأسهُ إعجابا بسؤالهِ ، فكرٌ سليمٌ لحظةً ثمَ قالَ : _ نعمْ . _ وما الذي يجعلكَ تقومُ بزيارةِ شخصٍ لا تتعدى علاقتكَ بهِ صداقةُ العملِ ؟ ارتبكَ وارتعشتْ شفتاهُ السفليةَ وتوترِ حينِ أجابَ : _ لقدْ لاحظنا

جميعا سوءَ حالتهِ وضعفُ نشاطهِ في العملِ على غيرِ عادتهِ ، وعندما علمنا بالسببِ تعاطفنا معهُ ، واقترحَ علي كريمْ أنْ نقضيَ معهُ بعضَ الوقتِ ، بنيةُ مواساتهِ والتخفيفِ عنهُ ، وعرضنا عليهِ الأمرُ فقامَ بدعوتنا إلى منزلهِ ، هذا ما حدثَ .
اعتدلَ عيسى في جلستهِ ، ونظرَ إلى عينيهِ مباشرةٍ وتسائلُ : _ هلْ تتناولُ المخدراتُ ؟ ارتجفَ جسدهُ وترنحتْ عينيهِ داخلَ محجريها ، وبنبرةٍ مهزوزةٍ قالَ : _ لا . ارتفعَ حاجبي حسنْ غضبا ، وصاحَ بهِ قائلاً : _ إذنٌ ، قضيتمْ جلستكمْ داخلَ شقتهِ في ترتيلِ القرآنِ الكريمِ ! بللٌ سليمٌ شفتيهِ بلسانهِ ، ودارتْ عينيهِ حائرةً ، لمْ يجدْ ما يقولهُ ف صمتٌ ؛ تدخلِ عيسى بهدوئهِ المخيفِ ، قالَ : _ لا داعي للكذبِ والمراوغةِ ، تناولُ المخدراتِ ليستْ قضيتنا على كلِ حالٍ ، نحنُ نعلمُ كلُ شيءٍ ، وأيضا صديقكَ كريمٌ قدْ اعترفَ بهذا الأمرِ ، كنَ واضحا تسلم ، يمكنكَ أنْ تعتبرها نصيحةٌ . زمنُ شفتيهِ قبلَ أنْ يتحدثَ قائلاً : _ أنا لا أتعاطى المخدراتُ هذهِ هيَ الحقيقةُ ، لكني حتى أكونَ صادقا ، كانتْ هذهِ هيَ المرةُ الأولى لي ، حدثَ ذلكَ منْ بابِ التجربةِ والتأثرِ بالصحبةِ . _ وماذا عنْ على ؟ سألهُ حسنْ ، أجابَ : _ كانتْ أيضا المرةَ الأولى لهُ ، هوَ حتى لا يدخنُ السجائرَ . _ ما رأيكَ في المجنيِ عليها ؟ _ لمْ أراها إلا في حفلِ الزفافِ ، وبالنسبةِ للمشكلةِ التي كانتْ بينهما ، فهيَ امرأةٌ واضحةٌ تقودها العاطفةُ وهيَ أقرتْ بذلكَ ، أخبرتهُ أنها لا تستطيعُ التنازلَ عنْ حقها في أنْ تكونَ أمٌ .
قررَ عيسى أنْ ينتهيَ التحقيقُ مؤقتا عندَ ذلكَ ، وطلبَ منْ حسنٍ أنْ يستدعى والدةَ نرمينْ في صباحِ اليومِ التالي

.....

وجدَ عيسى نفسهُ وسطَ بستانٍ كبيرٍ ، وكانتْ الشمسُ شديدةً الوهجِ ، مما جعلهُ يرفعُ كفيهِ ل يحجبُ الضوءُ عنْ عينيهِ ، تفقدَ الأشجارَ الخضراءَ المثمرةَ منْ حولهِ ، تأملَ الورودُ الحمراءُ المتفتحةُ وهيَ تبتسمُ إلى السماءِ ، كانَ يقفُ في وسطِ ممشى ممهدٍ بينَ كلِ ذلكَ ، استنشقَ هواءَ نقيٍ ونظيفٌ بلا تلوثٍ ، اهتزتْ أرنبةَ أنفهِ حينَ تسللتْ إلى جيوبهِ الأنفيةِ رائحةً ذكيةً لا يعلمُ كنهها ، كانَ المكانُ خالي منْ البشرِ ، حتى أنهُ ظنَ نفسهُ قدْ رحلَ عنْ الحياةِ وانتقلَ إلى العالمِ الآخرِ ، فجأةُ شعرَ بيدٍ رقيقةٍ تربتُ فوقَ كتفهِ منْ الخلفِ ، ارتجفَ وسرتْ رعشةٌ في أطرافهِ ، تقدمُ خطوتينِ إلى الأمامِ ثمَ التفتَ ببطءٍ شديدٍ ، فوجدها تقف بجسدها النحيفِ وعلى وجهها علاماتِ الحزنِ ، وكانَ جسدها ينزفُ في نفسِ المواضعِ التي عاينها منْ قبلٍ ، جحظتْ عيناهُ وصاحَ قائلاً : " مدامُ نرمينْ ! ، منْ فعلِ بكَ هذا ؟ " ، ظلتْ صامتةً ولمْ تجيبَ ، كانَ رأسها منتكسٌ إلى الأسفلِ ، " أخبريني منْ فضلكَ ، منْ الفاعلِ ؟ " قالَ ، رفعتْ عينيها ونظرتْ نحوَ عينيهِ مباشرةٍ ، وكانتْ نهايةُ أذنيها تقطرُ دما عندَ موضعِ الأقراطِ المنزوعةِ بالقوةِ _ كما شاهدها منْ قبلٌ ، وكانَ جمالٌ وجهها واضحا لهُ هذهِ المرةِ على عكسِ ما شاهدهُ منْ قبلٌ ، وقفُ عيسى بقامتهِ الممشوقةِ ينظرُ إليها في حزنٍ وتعاطفٍ وتوسلَ ، عسى أنْ تخبرهُ عنْ الجاني ، لكنها بسطتْ يدها بطريقةٍ ميكانيكيةٍ ، وبسبابتها أشارتْ نحوَ جزعِ إحدى الأشجارِ الخضراءِ على الجانبِ الأيمنِ لها والأيسرِ منْ ناحيتهِ ، انعقدَ حاجبيهِ وظهرتْ على وجههِ علاماتِ الاستفهامِ ، دارتْ رأسهُ ببطءٍ صوبَ موضعِ الإشارةِ ، وهناكَ رأى امرأةَ عجوزٍ تجثو بركبتيها على الأرضِ وتقومُ بسقيِ الشجرةِ ، استطاعتْ أذنيهِ أنْ تلتقطَ صوتَ سكبِ المياهِ التي تتساقطُ أسفلَ الشجرةِ ، لمْ يتمكنْ منْ رؤيةِ وجهها لأنَ ظهرها نحوهما ، رغبَ في التقدمِ نحوها لكنَ ساقيهِ أبتا أنْ تنصاعَ لإرادتهِ ، عادَ ينظرُ إلى نرمينْ في دهشةٍ وسألها : " ليسَ بوسعي التعرفُ عليها ، منْ تكونُ هذهِ المرأةِ ؟ " ، لمْ تجيبَ لكنها رفعتْ حاجبيها ونظرتْ صوبَ المرأةِ مرةً أخرى ، وأشارتْ لهُ بإيماءةٍ بسيطةٍ منْ رأسها ، فهمٌ على الفورِ أنها تطلبُ منهُ أنْ يعيدَ النظرُ مرةً أخرى ، وعندما فعلَ بناءً على رغبتها ، وجدَ المرأةَ ما زالتْ تجلسُ بنفسِ الوضعيةِ ، لكنها أدارتْ وجهها نحوهما ، وكانتْ تعلو ملامحَ وجهها المجعدِ ابتسامةً واسعةً ، هنا صاحَ محدثا نرمينْ ، قالَ : " إنها . . . إنها أمكَ " ، صمتُ لحظةِ شاهدِ خلالها ابتسامةٌ بسيطةٌ على ثغرِ الفتاةِ ، تجهمَ وجههُ وهوَ ينقلُ بصرهُ بينَ الفتاةِ والمرأةِ العجوزُ ، وبنبرةِ الحائرِ سألها قالَ : " أنا لا أفهمُ ، ماذا تقصدينَ بالضبطِ ؟ ، هلْ هيَ منْ فعلتْ بكَ هذا ؟ " ، كانتْ تنظرُ إليهِ بوجهِ خالي منْ التعبيراتِ ، وكانَ جسدها يتراجعُ بفضلِ قوةٍ خفيةٍ لمْ يتبينْ كنهها ، نظرٌ نحوَ المرأةِ فلمْ يجدْ لها أثرٌ كانَ موضعها السابقُ فارغا ، تعجبَ منْ ذلكَ ؛ لكنهُ لمحَ المياهَ التي كانتْ تسكبها تحيطُ أسفلَ الشجرةِ ، عادَ ينظرُ إلى الفتاةِ التي صارتْ على بعدِ أمتارٍ كثيرةٍ منهُ ، وصرخَ مرددا " منْ الفاعلِ ؟ ، أرجوكُ أخبريني ، منْ الفاعلِ ؟ ، أخبريني ، منْ الفاعلِ ؟ " وهنا شعرَ بيدٍ تهزُ جسدهُ بلطفٍ ، فتحُ عينيهِ فوجدَ ياسمينْ زوجتهُ بجانبهِ ، تهزهُ وعلاماتُ الخوفِ ترتسمُ فوقَ صفحةِ وجهها البهيُ ، سألتهُ بنبرةٍ قلقةٍ قالتْ : _ عيسى ، ماذا بكَ يا حبيبيٌ ؟ تفاجأ بها ، لمْ يجيبها بلْ تفقدَ المكانُ منْ حولهِ ، علمُ أنهُ داخلِ غرفةِ نومهِ ووجدَ نفسهُ راقدٌ فوقَ الفراشِ ، فركُ عينيهِ بكلتا يديهِ وبصوتٍ متبلدٍ قالَ : _ لا شيءً ، لا شيءً ، مجردُ كابوسٍ لا أكثر . أخذتْ برأسهِ وضمتها إلى نهديها الصغيرينِ ، ثمَ ربتتْ فوقَ ظهرهِ بحنانٍ ولطفٍ ، أغمضَ عينيهِ منْ جديدٍ وغاصَ في التفكيرِ ، راغبا بشدةٍ في فهمِ مغزى هذا الحلمِ .

.....

كانَ قلقا بشأنَ ما رآهُ في حلمهِ ، هذهِ رسالةٌ ذاتُ مغزى هامٍ ، ملكةٌ عظيمةٌ اختصهُ بها اللهُ تساعدهُ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ على اكتشافِ الحقائقِ ، لذلكَ لمْ يستطعْ استئنافُ نومهِ مرةً أخرى ، القلقُ يفسدُ الاسترخاءُ ، هذهِ قاعدةٌ يعلمها جيدا ويؤمنُ بها ، غادرَ فراشهُ ، توضأَ وقامَ بصلاةِ ركعتي الشروقَ ، بدلُ ثيابهِ وغادرَ منزلهُ ، أثناءَ قيادتهِ السيارةِ متجها إلى عملهِ ، رنَ هاتفهِ _ كانَ المتصلُ هوَ حسنٌ ، وحينُ أجابَ جحظتْ عينيهِ مما سمعهُ ، وبعدَ لحظاتٍ منْ الصمتِ ، وبنبرةٍ حزينةٍ يملأها الأسى قالَ : " إذنٌ ، أرسلَ لي الموقعُ الآنَ " ، ثمَ أنهى المكالمةَ ، انعقدَ حاجبيهِ وزمْ شفتيهِ ، وك نوع منْ تفريغِ شحناتِ الغضبِ التي امتلأَ بها صدرهُ ، انهالَ بقبضتهِ فوقَ عجلةِ القيادةِ عدةَ مراتٍ متتاليةٍ ، بعدُ مرورِ بعضِ الوقتِ ، كانَ قدْ وصلَ إلى الموقعِ ، الذي كانَ عبارةً عنْ منزلٍ صغيرٍ ، ينتمي ل حارةً ضيقةً داخلَ منطقةِ الزاويةِ الحمراءِ ، تفقدَ البيوتَ المتهالكةَ قصيرةٌ الارتفاعِ ، وسكانَ الحيِ البسطاءِ ، الذينَ تجمعوا في مودةٍ لمْ تخلوَ منْ الفضولِ البشريِ ، لمعرفةِ سببِ وجودِ رجالِ الشرطةِ داخلَ عالمهمْ الخاصِ ، شقُ عيسى طريقهِ وسطَ الزحامِ ، وكانَ مرورهُ منْ بينِ الأجسادِ المتكدسةِ مؤلمٌ مثلٌ الولادةِ ، ثمَ عبرَ البوابةَ الحديديةَ الصدئةَ ، بعدما تعرفَ عليهِ العسكريُ الواقفُ على بابها وأعطاهُ التحيةَ العسكريةَ ، صعدَ الدرجُ بخفةٍ وحرصَ ، حتى لا يتعثرُ في إحدى السلالمِ المهشمةِ أطرافها ، في الطابقِ الثاني وأمامَ الشقةِ المجاورةِ للدرجِ ، أستقبلهُ حسن ثمَ انتحى بهِ جانبا ، وهمسَ في أذنهِ قالَ : " على هوَ منْ قامَ بالإبلاغِ عنْ الجريمةِ " ، بالسبابةِ والإبهامِ أمسكَ عيسى بدايةَ عضمة أنفهُ وهوَ مغمضُ العينينِ ، ثمَ زفرَ في ضيقٍ . _ واضح أنَ سيادتكَ مجهدٌ . _ صداعٌ بسيطٌ ، احتاجَ إلى فنجانِ قهوةٍ . _ سوفَ أرسلُ أحدهمْ لإحضارِ طلبكَ فورا . شكرهُ عيسى على لطفهِ ، ثمَ دولفْ داخلَ الشقةِ صغيرةً المساحةِ ، فورَ عبورهِ منْ بابِ الدخولِ وجدَ نفسهُ في غرفةِ المعيشةِ ، التي كانتْ تحوي اريكتينْ منْ الطرازِ القديمِ جدا ، وكانَ على يجلسُ فوقَ إحداهما ، يمسكَ رأسهُ المنتكسُ بينَ يديهِ ويبكي ، تفحصهُ بنظرةٍ سريعةٍ في صمتٍ ، ثمَ تخطاهُ وانعطفَ نحوَ اليمينِ ، متجها إلى الغرفةِ الوحيدةِ بالشقةِ ، وقفَ عندَ بابها يترقبُ رجالُ الطبِ الشرعيِ ، كانَ جسدُ المرأةِ ممددا على الأرضِ ، لاحظَ عيسى عدمَ وجودِ أيِ أثرٍ للدماءِ ، لكنهُ عندما دققَ النظرُ أكثرَ استطاعَ أنْ يلمحَ وجهها المحتقنُ ، ألتفتُ عائدا للبحثِ عنْ حسنْ والاستفسارِ منهُ ، في نفسِ اللحظةِ كانَ أحدُ العساكرِ يتقدمُ نحوهُ منْ الخلفِ ، ولا يفصلُ بينهما سوى خطوةٍ واحدةٍ ، اصطدمَ كلا منهما بالآخرِ ف سقطَ الفنجانُ على الأرضِ _ آسفٌ يا عيسى بيهْ . _ لا عليكَ ، إنهُ خطأيْ أنا ، كانَ يجبُ على أنْ انتبهَ وأكون حريصا . قالها عيسى وهوَ يمسكُ منديل ورقيٍ يزيلُ بهِ خيطٌ رفيعٌ منْ البنِ ، كانَ قدْ انسكبَ فوقَ كمِ قميصهِ الأزرقِ ، حينُ قالَ الجنديُ : " سوفَ أذهبُ لإحضارِ أخرى " ، صرفهُ عيسى وهوَ يخبرهُ أنْ لا داعي لذلكَ ، حينُ رأى حسنْ أمامهُ امسكَ عيسى كتفهُ وقالَ : " أريدكُ أنْ تخبرنيَ عنْ شيءِ " نظر لهُ حسنُ باهتمامٍ وقالَ : _ أوامر سيادتكَ . _ هلْ ماتتْ شنقا ؟ _ أظنُ ذلكَ . _ هلْ وجدتْ أداةَ الجريمةِ ؟ _ لا . هزَ رأسهُ متفهما ، ثمَ عادَ إلى غرفةِ الجلوسِ ، ترقبٌ على الذي ما زالَ يبكي ، ثمَ جلسَ على الأريكةِ المجاورةِ ، أشعلَ لفافةَ تبغٍ ثمَ نفثَ الدخانُ وسألهُ : _ ماذا حدثَ بالظبطْ ؟ لمْ يلحظْ على وجودِ عيسى ، كانَ منحنى الظهرِ يدفنُ رأسهُ بينَ كفيهِ ويبكي ، لكنَ حسنْ جلسَ بجانبهِ وتمكنَ منْ لفتِ انتباههِ ، حينُ وكزهُ في كتفهِ وقالَ : _ الباشا يحدثكَ أجبْ . رفعُ رأسهِ وانتبهَ إلى وجودِ عيسى ، جففَ عينيهِ منْ الدموعِ بواسطةِ منديلٍ ورقيٍ ، ثمَ خرجَ صوتهُ متحشرجا يقولُ : _ لقدْ حدثتني عبرَ الهاتفِ ، في البدايةِ كنتُ لا أرغبُ في الاستجابةِ لمكالمتها ، بالطبعِ لا أقصدها هيَ بالذاتِ ، منذُ وفاةِ زوجتي وأنا منعزلٌ في غرفتيْ لا أريدُ رؤيةُ أوْ محادثةِ أحدٍ ، لكنني عندما لاحظتْ إصرارها ، قمتُ بالردِ لكنها لمْ تبادلني التحيةُ ، وكانتْ نبرةُ صوتها مختلفةً عنْ الطبيعي ، مهزوزةً ومرتبكةً وخائفةً منْ شيءِ ما ، سألتها عنْ حالها فلمْ تجيبَ ، بلْ طلبتْ مني أنْ استمعَ لها فقطْ دونَ مقاطعةٍ ، تفاجأتْ بها تخبرني أنها تريدني أنْ أذهبَ إليها سريعا ، وأنَ الأمرَ هامٌ وخطيرٌ ، عدتُ اسألها عنْ سببِ رغبتها في رؤيتي ، وعنْ كنهُ الشيءِ الهامِ الذي جعلها تتلهفُ لرؤيتي بهذهِ الطريقةِ المريبةِ ، رفضتْ أنْ تصرحَ لي بأيِ معلومةِ عبرَ الهاتفِ ، وبعدما ظللتْ ألحَ عليها أخبرتني أنها علمتْ هويةَ قاتلِ ابنتها ، ورفضتْ بقوةِ أنْ تفصحَ عنْ أيِ شيءٍ آخرَ ، وبالفعلِ ارتديتُ ملابسي على عجلٍ وانطلقتْ إلى هنا ، وحينُ وصلتْ وجدتْ بابَ الشقةِ مواربا ، تجاهلتْ ذلكَ ودولفتْ إلى الداخلِ ووجدتها على هذا الوضعِ ، وبعدما استوعبتْ الأمرَ وافقتْ منْ صدمتي ، وتذكرتْ أنَ حسنْ بيهْ كانَ قدْ أعطاني رقم هاتفهِ ، وطلبَ مني أنْ أحدثهُ إذا تذكرتْ أيَ شيءٍ عنْ حادثةِ زوجتي ، فقمتُ بالاتصالِ بهِ وأخبرتهُ بالأمرِ ، هذا كلُ ما حدثَ .

همهمَ عيسى وهوَ يهزُ رأسهُ ، ثمَ رمقِ حسنْ بنظرةٍ سريعةٍ ، وألقى سيجارتهُ على الأرضِ ، ثمَ دهسها بقدمهِ وهوَ ينهضُ مغادرٌ جلستهُ ، مضى نحوُ بابِ الخروجِ ، وتبعهُ حسنْ في صمتٍ ، انتحى عيسى بهِ جانبا وهوَ يضعُ يدهُ على كتفهِ ، تحركتْ شفتيهِ وهمْ أنْ يتحدثَ ، لكنهُ تراجعَ حينَ لمحها ، كانتْ تقفُ على عتبةِ بابِ الشقةِ المجاورةِ ل شقةَ والدةِ نرمينْ ، تذكرها فورا دونَ عناءٍ ، نفسُ المرأةِ السمراءِ البدينةِ ، التي كانتْ ترافقُ المجنيَ عليها حينَ قتلتْ ابنتها ، والذي أخبرَ حسنْ أنْ يعرفَ لهُ منْ تكونُ ، لكنَ الأمرَ غرق في طيِ النسيانِ ، ابتلعتهُ زحمةُ الأفكارِ التي تتكدسُ داخلَ رأسهِ ، ظهرَ شبحِ ابتسامةٍ فوقَ وجههِ وهوَ يتقدمُ نحوها ، كانتْ عيناها حمراء منْ البكاءِ ، لكنها متماسكةٌ رغمَ الحزنِ البادي على

صفحةٍ وجهها الأسمرُ ، " هيَ منْ النوعِ الشديدِ ، الذي يحبُ أنْ يظهرَ بالقوةِ ، حتى في أكثرِ لحظاتِ ضعفهِ " هكذا قالَ في قرارةِ نفسهِ ، ثمَ دنا منها وألقى عليها تحيةُ الصباحِ وهوَ يدعوها ب (ستٌ الكلَ) ، بادلتهُ التحيةُ بطريقةٍ فظةٍ وهيَ تنظرُ إليهِ بارتيابٍ ، قدمَ لها نفسهِ بطريقةٍ مهذبةٍ ، قالَ : " عيسى الوكيلُ ، مباحث " ، " أهلاً وسهلاً ، أؤمرُ يا باشا " قالتْ ، ابتسمَ في مكرٍ وهوَ يقولُ : _ أشعرُ بصداعٍ شديدٍ في رأسي ، لذلكَ طلبتُ فنجانَ قهوةٍ منذُ قليلٍ ، لكنهُ معَ الأسفِ سقطَ أرضا وانسكبَ كلهُ ، دونُ أنْ أحظى ولوْ برشفةٍ واحدةٍ . بوجهها المتجهمِ نظرتْ إليهِ بتوجسٍ ، ثمَ قالتْ : _ طلقُ القهوةِ خير ، أتفضلُ سيادتكَ نحضرُ غيرها . عبرَ بابِ الدخولِ بهدوئهِ المعهودِ ، كانتْ الشقةُ لا تختلفُ كثيرا عنْ الأخرى ، نفسُ المساحةِ الضيقةِ _ نفسَ التقسيمِ _ وأيضا تتشابهُ في طرازِ الأثاثِ البسيطِ المتهالكِ ، وقفَ أمام صورتينِ معلقتينِ فوقَ حائطِ غرفةِ الجلوسِ ، تمَ التقاطهما منْ زمنٍ بعيدٍ ، إحداهما شديدةُ الاصفرارِ عنْ الأخرى ، يحيطَ كلا منهما بروازٍ زجاجيٍ مربعِ الشكلِ أطرافهُ منْ الخشبِ ، الأولى للمرأةِ وزوجها يرتديانِ ملابسُ الزفافِ ، تقفَ مبتسمةً في أدبِ بوجهٍ ملطخٍ بالمكياجِ الرخيصِ ، تضعَ يدها فوقَ كتفِ رجلٍ قمحيٍ نحيفٍ مثلٍ لفافةِ تبغٍ ، لديهِ شاربٌ رفيعٌ مضحكٌ ، وفوقَ رأسهِ طربوش أحمرَ أنيقٍ ، يجلسَ أمامها واضعا ساقَ فوقَ أخرى في شموخٍ ، أما الصورةُ الثانيةُ ف كانتْ لطفلٍ صغيرٍ ، يمطَ شفتيهِ في حزنٍ منْ يوشكُ على البكاءِ ، تمَ تمشيطُ شعرَ رأسهُ نحوَ الأمامِ ، مما جعلهُ يحجبُ جبينهُ ويتدلى فوقَ عينيهِ ، ببطءِ دارُ جسدِ عيسى إلى الخلفِ ، رأيٌ على الحائطِ المقابلِ ساعةً معطلةً _ متوسطةَ الحجمِ _ تبدو على هيئةِ الكعبةِ الشريفةِ ، بجانبها صورةً حديثةً إلى حدِ ما ، لكنها دونَ بروازٌ تمَ تثبيتها بشريطٍ لاصقٍ ، تظهرَ شاب أسمرَ في مقتبلِ العمرِ ، يرتدي غطاءَ رأسٍ ، بينما خصلاتُ شعرهِ المجعدِ الطويلِ تمرُ خلفَ أذنهِ وتنسدل فوقَ كتفهِ ، يقفَ منحنيا إلى الأمامِ وعلى وجههِ ابتسامةً عريضةً ، وبينَ ساقيهِ كلب أسودَ نحيفٍ منْ نوعيةٍ (دوبرْ مانْ) . _ تفضلَ يا بني . قالتها المرأةُ التي ظهرتْ فجأةً ، تناولُ الفنجانِ وهوَ يبتسمُ وقالَ : _ أشكركُ يا حاجةٌ . ثمَ جلسَ وهوَ يرشفُ قهوتهُ باستمتاعٍ _ هلْ تعيشينَ هنا وحدكَ ؟ قالها وعادَ يحتسي مشروبهُ دونَ إبداءِ اهتمامٍ بالإجابةِ ، نظرتْ المرأةُ إلى صورتها معَ زوجها ، ثمَ أجابتْ : _ زوجيٌ رحمهُ اللهُ ، توفيَ منذُ خمسةِ وعشرونَ عاما ، وتركَ لي عباسْ ، الذي كانَ وقتها ابنِ الخمسةِ أعوامٍ ، أنفقتْ عمري في تربيتهِ ، حتى صارَ رجلاً ناضجا . _ أطالَ اللهُ في عمركَ ، بالطبعِ هوَ متزوجٌ ويقطنُ في حيٍ آخرَ ؟ _ لا ، لمْ يأتيَ نصيبهُ بعدٌ . _ مؤكد هوَ مغتربٌ في بلدٍ عربيٍ ما . _ لا ، يعيشَ معي هنا . _ أينَ هوَ إذنْ ؟ سألها وهوَ يشعلُ لفافةَ تبغٍ _ ربما في عملهِ ، أوْ في مكانِ ما معَ أصدقائهِ . _ إذنٌ ، هوَ منْ النوعِ الغامضِ ، الذي لا يطلعُ أحدٌ على تفاصيلِ يومهِ . _ ليسَ كذلكَ ، هوَ يخبرني دوما ، لكنَ رأسي اليومِ يكاد أنْ ينفجرَ منْ فاجعةِ موتِ حبيبتي عفافَ المسكينةِ . ثمَ انفجرتْ في بكاءٍ هيستيريٍ ، وبينَ الفينةِ والأخرى كانتْ تتوقفُ وتقولُ : " كانتْ طيبةً ، لمْ تأذى أحدٌ ، لماذا تكونُ نهايتها هكذا ؟ " ثمَ تستأنفُ بكاءها الحارَ ثمَ تستغفرُ وتحوقلُ ، بالطبعِ كانَ عيسى يحاولُ أنْ يهدأَ منْ روعها ببعضِ الجملِ المعتادةِ ، التي تتناسبُ معَ هذهِ المواقفِ ، وحينُ هدأتْ قليلاً عادتْ تقولُ : " كانتْ أعزَ منْ شقيقاتي ، عشرةُ عشرونَ عاما ، لا تجرأَ واحدةً منا أنْ تخفيَ سرا عنْ الأخرى ، حبيبتي لمْ تكنْ تملكُ شيئا يدعو إلى إغراءِ اللصوص ، حتى وإنْ كانَ لصا ألم يكنْ في صدرهِ قلب ينبضُ ، ألمٌ يتعاطفُ معَ عمرها وحالتها الصحيةِ ، كيفَ يكونُ هناكَ إنسانٌ قاسى لهذا الحدِ ؟ ، حتى وإنْ كانَ حيوانا لا أظنُ أنهُ كانَ سيقومُ بقتلها بهذهِ البشاعةِ " أومأَ عيسى برأسهِ مؤكدا حديثها ، ثمَ انتهكَ حرمةَ الموقفِ حينَ تجاهلَ كلُ هذهِ المشاعرِ وطلبَ كوبا منْ الماءِ ، عندما ذهبتْ المرأةُ مستجيبةً ل طلبهُ ، غادرَ مكانهُ فورا وعبرَ منْ غرفةِ الجلوسِ إلى الغرفةِ الوحيدةِ بالشقةِ ، والتي كانتْ متصلةً بالشرفةِ ، غابَ بالداخلِ عدةَ لحظاتٍ ، وأثناءَ عودتهِ إلى غرفةِ الجلوسِ وجدَ المرأةَ في مواجهتهِ ، وقفتْ تنظرُ إليهِ بارتيابٍ ، لاحظَ ذلكَ ولمْ ينتظرْ أنْ تسألهُ ، قالَ : " كنتَ أحدثَ أحدٍ رجالي الذي بالأسفلِ عبرَ الشرفةِ " ، هزتْ رأسها في عدمِ تصديقٍ ، أخذُ منها كوبِ الماءِ ، رشفَ القليلُ ثمَ أنتصبُ واقفا وقبل أنْ يغادرَ توقفٌ للحظةٍ ، قالَ بنبرةٍ هادئةٍ وبوجهٍ مبتسمٍ ، وحرصَ كلُ الحرصِ على أنْ يبدوَ ودودا بدرجةٍ كافيةٍ _ لمْ تخبريني عنْ مهنةِ عباسْ ، يا ستّ الكلَ . ابتسمتْ ساخرةً وهيَ تهزُ رأسها في أسى _ قهوجيّ على بابِ اللهِ . دعا اللهُ أنْ يوفقَ عباسْ وأنْ يعتنيَ بأمِ عباسْ ، ثمَ شكرها على حسنِ ضيافتها ، ودعتْ لهُ المرأةُ بالتوفيقِ في عملهِ وحياتهِ ، خاصةً في القبضِ على هذا الحيوانِ البشريِ القذرِ الذي فعلَ هذهِ الجريمةِ الشنعاءِ ، ابتسمَ لها وغادرَ ، في الخارجِ كانَ حسنْ ينتظرهُ . _ سوفَ أذهبُ الآنُ ، لديَ شيءٌ هامٌ جدا ، يجبَ أنْ أفعلهُ . _ هلْ تسمحُ لي سيادتكَ ب معرفتهُ ؟ _ لا أستطيعُ الآنُ يا حسنْ ، ليسَ هناكَ وقتٌ للشرحِ ، حينُ أعودُ سوفَ أخبركُ بكلِ شيءٍ .

.....

بعدُ مرورِ ساعتينِ منْ الوقتِ ، وفورَ خروجِ عيسى منْ بوابةِ سجنِ ليمانْ طرةْ ، وعلى وجههِ ابتسامةً تعبرُ عنْ الرضا والانتصارِ ، وأثناءَ سيرهِ نحوَ سيارتهِ أخرجَ هاتفهُ واتصلَ بمساعدهِ . _ أنصتُ إلى جيدا يا حسنْ ، أذهبُ الآنُ فورا ، وأستخرجُ إذنَ منْ النيابةِ بالقبضِ على عباسْ رضا السماكْ ، هلْ تذكرُ المرأةُ التي جاءتْ بصحبةِ المجنيِ عليها حينَ قتلتْ ابنتها ؟ ، نعمَ المرأةَ السمراءَ القاطنةَ في الشقةِ المجاورةِ لشقةِ المرأةِ المجنيُ عليها هذا الصباحِ ، هذا المدعوِ عباسْ هوَ نجلها الوحيدُ ، يعملَ مضيفٌ في قهوةٍ بلديٍ ، لا تعودُ بدونهِ يا حسنْ ، أحضرهُ لي منْ تحتِ الأرضِ ، هيا اذهبْ الآنَ

وسوفَ أنتظركُ في مكتبي . أنهى المكالمةَ ، ورفعَ وجههِ صوبَ السماءِ يشكرُ الربُ على توفيقهِ لهُ ، ثمَ ارتدى نظارتهُ الشمسيةَ السوداءَ ، وصعدَ إلى سيارتهِ وانطلقَ .

.....

في مكتبهِ وأثناءَ إنهاءهُ أداةَ صلاةِ الظهرِ ، استمعَ إلى نقراتٍ فوقَ بابِ الدخولِ ، ثمَ فتحَ البابَ وسمعَ وقعَ خطواتِ القادمينَ ، حينُ التفتَ وجدَ حسنْ ، وكانَ بصحبتهِ الشابِ الأسمرِ ذو الشعرِ الطويلِ المتدلي فوقَ كتفيهِ ، كما رآهُ منْ قبلُ في الصورةِ المعلقةِ على حائطِ منزلهِ ، لكنَ ملامحهُ تبدلتْ قليلاً معَ تقدمِ العمرِ . _ حرما يا عيسى بيهْ . قالها حسنْ فابتسمَ لهُ عيسى وهوَ ينتصبُ واقفا ويثني سجادةَ الصلاةِ ويضعها جانبا _ جمعا يا حسنْ بيهْ . ثمَ جلسَ خلفَ مكتبهِ ، وقالَ : _ كيفَ حالكَ يا عباسْ يا شبحٌ ؟ ، أليسَ هذا هوَ اللقبُ الذي ينادونكَ بهِ ؟ _ بخيرٍ يا باشا ، مضبوط سيادتكَ ، هذهِ هيَ عاداتُ الأحياءِ الشعبيةِ منذُ الأزلِ ، كما تعلمَ معاليكَ ، لكلِ شخصٍ منْ ساكنيها اسمَ شهرةٍ . ضحكُ عيسى ثمَ أشعلَ لفافةَ تبغٍ ، وعادَ يقولُ : _ وما هيَ أخبارُ المزاجِ ؟ _ المؤاخذةُ يا باشا ، معلوماتُ سيادتكَ خاطئةً ، لستَ منْ مروجيهِ والعياذَ باللهِ ، فقطْ أتعاطاهُ في المناسباتِ منْ أجلِ الاحتفالِ لا أكثر . كانَ حسنْ يجلسُ صامتا يدخنُ لفافةَ تبغٍ في نهمٍ ، وعلى وجههِ أماراتِ التعجبِ والدهشةِ وعدمِ الفهمِ ، يتساءلَ في قرارةِ نفسهِ " هلْ عباسْ هذا هوَ القاتلُ ؟ ، لكنْ كيفَ ذلكَ ! ، ومنْ أينَ علمَ عيسى ؟ ، وكيفَ توصلَ إلى ذلكَ ؟ " ، أراحَ عيسى ظهرهُ إلى الخلفِ ، وتأملَ عباسْ الواقفِ أمامهُ بقامتهِ الفارعةِ ، ثمَ شهقَ وزفرَ في هدوءٍ ، وقالَ : _ ومنْ قالَ إنكَ تروجُ المخدراتُ ! ، كلُ ما في الأمرِ ، أنني عثرتْ على شيءٍ يخصكَ ، أظنهُ قدْ سقطَ منكَ دونَ أنْ تدريَ . انكمشَ جبينُ عباسْ وهوَ يضيقُ حدقتا عينيهِ ، ثمَ قالَ : _ شيءٌ ! . . . عنْ أيِ شيءٍ تتحدثُ سيادتكَ ؟ ، مؤكد هوَ ليسَ لي ، لمْ أفقدْ أيُ شيءٍ مما أملك . أبتسمُ عيسى بجانبِ فمهِ ، وهوَ يلقي قطعةَ الحشيشِ فوقَ المكتبِ . _ واضح يا عبسَ أنَ ذاكرتكَ مرهقةً بعضَ الشيءِ . ثمَ رفعِ سبابتهِ بجانبِ رأسهِ ، وظلَ يحركها بشكلٍ دائريٍ ذاتَ معنى ، وأضافَ : _ فكرٌ ولا تتعجلُ في الإجابةِ ، أنصحكُ بالرجوعِ إلى ملفاتِ عقلكَ الباطنِ ، ربما يساعدكَ ذلكَ في التذكرِ . ابتلعَ عباسْ الشبحِ ريقهُ ، ثمَ هزَ رأسهُ نفيا ، وقالَ : _ لا أعرفُ شيءٌ عنْ هذهِ القطعةَ . همهمَ عيسى وهوَ يغادرُ كرسيهُ ، ثمَ دارَ حولَ المكتبِ ودنا منهُ ، ثمَ ربتْ فوقَ كتفهِ عدةَ مراتٍ ، فأرتعدُ جسدَ عباسْ قليلاً ، وبنبرةِ تهديدٍ واضحةٍ قالَ : _ واضح أنكَ سترهقُ نفسكَ معنا ، أريدُ أنْ أطمئنكُ ، نحنُ نتقنُ جيدا التعاملُ معَ الأشباحِ أمثالكَ . بدأَ الخوفُ يتسربُ إلى شرايينَ عباسْ ويمتزجُ بدمائهِ ، بنبرةٍ مرتجفةٍ تسائلُ : _ أنا لا أعلمُ حتى الآنَ ، لماذا أنا هنا سيادتكَ ؟ مضى عيسى نحوَ النافذةِ بخطواتٍ بطيئةٍ ، ثمَ توقفَ عندها وقالَ : _ لقدْ قمتُ بجريمةِ قتلٍ ، وعبثَ شيطانكَ في رأسكَ ، مما دفعكَ لارتكابِ أخرى ، وظننتُ أنكَ تملكُ منْ الذكاءِ ما يجعلكَ قادرا على القيامِ ب جريمتينِ كاملتينِ ، دونُ أنْ يستطيعَ أحدُ اكتشافِ أمركَ ، لكنْ اسمحْ لي أنْ أخبركَ أنكَ غبيٌ وأحمقُ ، كانَ يجبُ أنْ تحترمَ منْ همْ أكثرُ ذكاءٍ منكَ . _ ماذا تقولُ يا باشا ؟ ، قتلٌ ! ، لمْ أفعلْ شيءُ منْ ذلكَ ، أنا لنْ أعترفَ بشيءٍ لمِ اقترفهُ مهما حدثَ ، لأنني بلا ظهرٍ تريدونَ أنَ تلفقونَ لي جرائمُ لمِ ارتكبها ، هذا ظلمٌ . . . ظلمٌ . ارتفعَ حاجبُ عيسى الأيسرَ وهوَ يبتسمُ بغضبٍ ، ثمَ بإيماءةٍ منْ رأسهِ وعينيهِ إلى حسنٍ ، غادرَ حسنُ مجلسهِ ودنا منْ المدعوِ عباسْ ، ثمَ بكلّ قوتهِ أنهالُ فوقُ وجهِ الأخيرِ بالصفعاتِ ، بإشارةٍ أخرى منْ عيني عيسى ، أجبرهُ حسنْ على أنْ يجثوَ على ركبتيهِ أرضا ، خلالَ ذلكَ وجهَ إليهِ بعضُ الشتائمِ والسبابِ ، أشارَ إليهِ عيسى أنْ يتوقفَ ، فتركهُ وعادَ إلى كرسيهِ مرةً أخرى ، سحبُ عيسى كرسيٌ ثمَ وضعهِ أمامهُ ، وجلسَ منحنيا قليلاً إلى الأمامِ ، ينظرَ إلى عينيهِ مباشرةٍ . _ اختصرَ يا عبسَ ودعكَ منْ تلكَ الأفلامِ الهابطةِ ، سوفَ أقلصُ المسافةُ لأنني رجلٌ يمقتُ الأحاديثَ الطويلةَ ، لقدْ صورتكَ كاميرةَ مراقبةٍ صغيرةٍ ، يضعها ساكنُ الشقةِ المجاورةِ لشقةِ المرحومةِ نرمينْ ، لسوءِ حظكَ أنَ هذا الرجلِ مصابٍ بمرضِ الوسواسِ القهريِ ، وإذا كنتُ لا تفهم ، فهوَ مرضٌ يجعلُ الشخصُ يفتقدُ شعورَ الأمانِ ويشكُ في كلٍ منْ حولهِ ، وهذا ما دفعهُ لوضعِ هذهِ الكاميرةِ ، ليراقب كلُ شيءٍ يحدثُ خارجَ شقتهِ وداخلها أيضا ، تصورُ هذا حتى داخلِ شقتهِ يضعُ كاميرةً ، تمَ تسجيلُ دخولكَ وخروجكَ بعدما حضرتْ المجنيَ عليها ما بينَ الفترتينِ ، صراحةٌ أودُ أنْ أبدى إعجابا بزيتِ الزيتونِ الذي تدلكَ بهِ شعركَ الجميلَ . توقفُ عيسى ومررَ سبابتهُ بينَ خصلاتٍ شعرَ عباسْ ، ثمَ رفعِ سبابتهِ قربَ أرنبةِ أنفهِ وتشممها ، ومثلَ الانتشاءُ بسخريةٍ واضحةٍ ، واسترسلَ قائلاً : _ بحكمِ العلاقةِ الوديةِ الحميمةِ ، التي استمرتْ لمدةِ عشرونَ عامّ _ بينَ والدتكَ والمرحومةُ عفاف ، كما أخبرتني أمكَ ، كانَ منْ الطبيعيِ جدا أنْ تأتمنها على أسرارِ أبنتها ، مثلما اعتادتْ على البوحِ لها بأسرارها الأكثر خصوصيةً ، فأخبرتها عنْ المتعلقاتِ الذهبيةِ التي تحتفظُ بها نرمينْ في شقةِ الزوجيةِ ، وعندما علمتْ أنتَ عنْ الأمرِ بطريقةِ ما ، عبثَ الشيطانُ في رأسكَ اللعينِ ، وبدأتْ تخططُ لسرقتهِ ، وبالفعلِ ذهبتْ في اليومِ الذي علمتْ مسبقا أنَ لا أحد منْ الزوجينِ يذهبُ خلالهُ إلى الشقةِ ، لكنكَ تفاجأتْ بحضورِ أحدهما ، هذا ما دفعكَ للاختباءِ داخلِ خزانةِ الملابسِ ، وهناكَ بالداخلِ احتكَ رأسكَ بالسقفِ وتركِ بقعةٍ زيتيةٍ لا بأسَ بها ، وسقطتْ قطعةُ الحشيشِ منْ جيبِ سروالكَ ، وعندما لاحظتْ نرمينْ الفوضى التي أحدثتها في الغرفةِ ، فتحتْ الخزانةُ ف وجدتكَ أمامَ عينيها ، ولأنكَ خشيتْ أنْ تفضحَ أمركَ ، قمتُ بطعنها باستخدامِ مطواتكَ ، ثمَ غادرتْ في هدوءٍ ، وأنتَ تظنُ أنَ استخدامكَ لقفازينِ اليدَ سيحميكَ منْ تركِ أيِ أثرٍ لبصماتكَ ، وصرتُ مطمئنٌ القلبِ ظنا منكَ أنهُ ليسَ هناكَ دليلُ ضدكَ ، فيما بعدٌ عندما علمتْ المرأةُ العجوزَ أنكَ الفاعلُ ،

قررتْ أنْ تنهيَ حياتها هيَ الأخرى ، قبلُ أنْ تخبرَ أحدُ بحقيقتكَ ، فقمتُ بالانقضاضِ عليها ولفَ حبلُ الغسيلِ حولَ رقبتها حتى فارقتْ الحياةُ ؛ نحنُ نعلمُ كلُ شيءٍ فلا داعي للمراوغةِ أيها الفتى الصغيرُ .

وبعدما كانَ عباسْ منتكسِ الرأسِ ، يغمرَ العرقُ جسدهُ وهوَ ينصتُ إلى حديثِ عيسى المنظمَ ، وكأنهُ يعرضُ أمامهُ فيلمٌ قصيرٌ هوَ ممثلهُ الوحيدُ ، رفعُ وجههِ فجأةِ وارتسمتْ على شفتيهِ ابتسامةَ سخريةٍ ، كانتْ عيناهُ شديدةً الاحمرارِ منْ الشعورِ بالضغطِ العصبيِ ، نظرٌ إلى عيني عيسى مباشرةٍ ، وفي تحدي قالَ : _ المرةُ الوحيدةُ التي ذهبتْ فيها إلى شقةِ نرمينْ ، كنتَ أقومُ بحملِ منقولاتها الزوجيةِ قبلَ الزفافِ ، تطوعا لخدمةِ ابنةِ منطقتيْ بحكمِ الجيرةِ ، وأنتَ تعلمِ جدعنهُ أولادَ البلدِ أمثالي ، ولمْ ألاحظْ أيُ كاميراتٍ منْ الذي تدعى سيادتكَ وجودها ، وللعلمِ هذهِ الشقةِ تسكنها امرأةٌ غيرُ متزوجةٍ وتعيشُ بالخارجِ ، أما عنْ تكهناتكَ التي لا بأسَ بها يا باشا ، تذكرني بتحقيقاتِ الضباطِ في الأفلامِ ، لكنَ نحنُ هنا في أرضِ الواقعِ ، لذلكَ اسمحْ لي أنْ أقولَ لكَ ، أنتَ لا تملكُ دليل واحدٍ ضدي ، أنا حزينٌ منْ أجلِ مجهودكَ الضائعِ _ الذي بذلتهُ دونَ فائدةٍ . انفجرَ عيسى ضاحكا ، بينما حسنٍ كانَ يدخنُ مثل مدخنةٍ كبابجي ، تكاد رأسهُ أنْ تنفجرَ منْ محاولةِ فهمِ ما يدورُ أمامَ عينيهِ ، أراحَ عيسى ظهرهُ إلى الخلفِ وهوَ يتوقفُ عنْ الضحكِ تدريجيا ، ثمَ وضعِ ساقٍ فوقَ أخرى وأشعلَ لفافةَ تبغٍ ، وقالَ : _ ألمٌ أخبركَ منذُ قليلٍ أنكَ غبيٌ وأحمقُ ، أضفْ على ذلكَ أنكَ أبلهُ ، لقدْ كنتُ ترتدى في هذا اليومِ سروالَ جينزٍ رماديٍ ، وتي شيرتْ أسودُ يتوسطهُ طباعةً لرأسِ ثورٍ أحمرِ اللونِ ، أما عنْ أداةِ الجريمةِ الأولى التي تتمثلُ في . . . ثمَ دسَ يدهُ في جيبِ سروالهِ ، وأخرجَ كيسٌ بلاستيكيٌ فردهُ أمامُ عينيهِ ، وجعلهُ يتأرجحُ أمامهما ، واستأنفَ حديثهُ قائلاً : _ هذهِ المطواةِ ، فهيَ الدليلُ الثاني بينَ يدي ، وأما عنْ قطعةِ الحشيشِ هذهِ ، فدعني أخبركَ أنَ المعلمَ بحاشي ، أكبرَ تاجرِ مخدراتٍ في حيِ القصيرينَ ، يرسلَ إليكَ تحياتهُ الحارةُ ، لقدْ مدحكَ كثيرا وهوَ يخبرني كمْ أنكَ منْ كبارِ عملائهِ الدائمينَ ، هذا ما يخصُ الجريمةَ الأولى ، وعلى الرغمِ منْ أنَ كلَ ما سبقَ كافيا لتزيينِ رقبتكَ الجميلةِ بحبلِ المشنقةِ ، لكني سأطيلُ مدة هذا العرضِ التشويقيِ قليلاً فقطْ منْ أجلكَ يا عبسَ ، لقدْ رأتْ المرأةُ المدعوةُ عفافَ القرطِ الذهبيِ الخاصِ بابنتها معلقٌ في أذنِ والدتكَ ، وبرغمَ الصدمةِ تمالكتْ نفسها ، وافترضتْ حسنَ الظنِ ، وسألتها كيفَ حصلتْ عليهِ ، فأخبرتها بصفاءِ نيةٍ وأيضا منْ بابِ التفاخرِ بنجلها ، أنكَ أنتَ منْ أهداها إياهُ ، وبما أنها تعلمُ ظروفكَ وطبيعةِ عملكَ البسيطِ ، ظلتْ تفكرُ وتحلل في الأمرِ ، حتى توصلتْ إلى حقيقةِ ما حدثَ ، خلالَ ذلكَ كنتُ علمتُ أنتَ بهذا الحديثِ الذي دارَ بينها وبينَ والدتكَ ، وبالطبعِ اكتشفتْ مدى غباؤكَ ، ورأيتُ أنهُ لا مفرَ منْ قتلها حتى تندفنْ الحقيقةِ إلى الأبدِ ، وحتى لا تكررُ نفسَ الطريقةِ التي استخدمتها في الجريمةِ الأولى . توقفُ لحظةٍ أخرجَ خلالها كيسٌ بلاستيكيٌ شفافٌ آخرٍ ، كانَ داخلَ جيبِ سروالهِ الآخرَ ، وكررَ نفسُ الحركةِ السابقةِ ، فردهُ وجعلهُ يتأرجحُ أمامَ عينيهِ الجاحظتينِ . _ هذا الحبلِ هوَ أداةُ جريمتكَ الثانيةِ ، والآنُ دعني أقولُ لكَ على طريقةِ برامجِ الكاميرا الخفيةِ ، هلْ تحبُ أنْ نذيعَ يا سيدْ عباسْ الشبحِ ؟ ثمَ ألقى بالكيسينِ فوق المكتبِ وانتصبَ واقفا ، أمامَ عيني عباسْ التي تنظرُ إلى الأرضِ في انهزامٍ ، ونظراتُ حسنِ المذهولةِ ، ثمَ بقدمهِ ركلِ صدرَ عباسْ فسقطَ على ظهرهِ ، أبتسمُ عيسى وهوَ ينظرُ إلى عينيهِ وقالَ : _ لقدْ عبثتْ معَ الشخصِ الخطأِ يا أبلهُ ، أنتَ في حضرةِ عيسى الوكيلُ ، حيثُ لا مجال للهربِ منْ قبضةِ العدالةِ .

.....

بعدما أقرَ عباسْ بتفاصيلِ ارتكابهِ للجريمتينِ ، وقامَ بالتوقيعِ على أقوالهِ ، وهوَ في حالةِ شكٍ أنَ كلَ ما يحدثُ لهُ أشبهَ بالحلمِ ولا يمتُ للواقعِ بصلةٍ ، مما جعلهُ يشعرُ في قرارةِ نفسهِ أنَ هذا العيسىُ أسطورةً مذهلةً تشبهُ أبطالَ الأفلامِ ؛ أما عنْ حسنْ الذي ظلَ مبهورا طوالَ فترةِ التحقيقِ ، وكانَ يشاهدُ ما يحدثُ باستمتاعٍ وصلَ إلى حدِ الانتشاءِ ، لمْ يستطيعَ أنْ يقاومَ فضولهُ أكثرَ منْ ذلكَ ، استغلَ أولَ فرصةٍ أتيحتْ لهُ بالانفرادِ بعيسى ، وقالَ : _ أرجوكُ يا أفندم ، يجبَ أنْ تنقذَ الجزءَ الباقي منْ عقلي ، أخبرني ، كيفَ علمتْ كلَ ذلكَ ؟ ابتسمَ لهُ عيسى وهوَ يربتُ على كتفهِ _ تحدثَ باللهِ عليكَ . زادتْ ابتسامةَ عيسى وهوَ يقدمُ لهُ لفافةُ تبغٍ _ التفاصيلِ . قالها منْ بينِ أسنانهِ وهوَ يشعلُ سيجارتهُ ، ثمَ جلسَ واسترسلَ : _ سوفَ أظلُ دائما أكررُ الجملةُ ذاتها ، التفاصيلُ هيَ كلُ شيءٍ ؛ حينَ أخبرنا على أنَ حماتهُ صرحتْ لهُ باكتشافها هويةَ الجاني ، فكرتْ في هذهِ النقطةِ جيدا ، امرأةٌ مسنةٌ مثلها لا تغادرُ المنزلَ ، ولكَ أنْ تتخيلَ نفسيتها المحطمةَ بعدما ماتتْ ابنتها ، لقدْ حدثَ شرخٌ في جدارِ روحها بطبيعةِ الحالِ ، وذلكَ الشعورُ سيجعلها تعتزلُ الناسَ وتفقدَ الرغبةَ في رؤيةِ أيِ شخصٍ ، وهذا يشيرُ إلى أنَ الجانيَ شخص قريبٍ جدا ؛ وعندما رأيتُ المرأةُ السمراءُ تذكرتها ، وتفاجأتْ بأنها تعيشُ بالشقةِ المجاورةِ ، وبعدما استطعتُ الجلوسُ معها واستدراجها في الحديثِ ، علمتْ العلاقةُ الوطيدةُ التي كانتْ تجمعُ بينهما ، عشرونَ عاما منْ الجيرةِ ، وهنا علمتْ أنَ المرأتينِ يتبادلنَ الأسرارُ بكلِ طمأنينةٍ وأريحيةٍ ، وبطبيعةِ الحالِ علمتْ أنَ المرأةَ على علمٍ بوجودِ الذهبِ ، لكنْ منْ فعلها ؟ ، كانَ ذلكَ السؤالِ الأهمِ ، وبعدما رأيتُ صورةُ الشابِ ، وعلمتْ أنهُ

عباسْ نجلها الوحيدِ ، بدأ الشكُ يتسربُ إلى عقليٍ ، وخلالَ حديثي معَ أمِ عباسْ ، لمحتْ القرطَ في أذنيها اليسرى ، وشعرتْ أنني رأيتهُ منْ قبلٍ ، اعتصرتْ عقليٍ حتى تذكرتْ ، كنتَ أتأملُ في الصورِ التي كانتْ تجمعَ العروسينِ ، في مسرحِ الجريمةِ الأولِ ، حينُ لمحتهَ للمرةِ الأولى في أذني نرمينْ ، وهنا تأكدتْ أنَ عباسْ هوَ منْ فعلها ، وتكهنتْ بالسيناريو الذي حدثَ ، وكيفَ علمتْ المجنيَ عليها بهويةِ قاتلِ ابنتها ، وبما أنَ المرأةَ قتلتْ خنقا ، خطرتْ لي فكرةُ ما ، وكانَ يلزمني دليلٌ قاطعٌ حتى أستطيعَ إثباتُ إدانتهِ ، فكرتْ كثيرا ورتبتْ أفكاري حتى أصبحتْ مستعدا ، طلبتْ منها كوبِ ماءٍ حتى أفسحَ الطريقُ لنفسي ، وخلالَ ذلكَ وبأقصى سرعةٍ فتشتْ داخلَ الغرفةِ حتى وجدتْ المطواةُ ، ثمَ هرعتْ نحوَ الشرفةِ وأمعنتْ النظرَ جيدا في حبالِ الغسيلِ ، كانتْ الحبالْ كلها مترابطةٌ ببعضها البعضَ ، تكسوها طبقةٌ طفيفةٌ منْ الترابِ ، الذي كانَ يملأُ الجوُ في اليومِ السابقِ للجريمةِ ، عدا الأخيرَ كانَ نظيفا ، وليسَ هذا فقطْ ، بلْ كانتْ عقدتهُ منْ الطرفينِ واضحةً جدا أنها ربطتْ حديثا ، قمتُ بحلِ عقدتيهِ سريعا ودسستهُ في جيبي ، وعدتْ في اللحظةِ ذاتها التي ظهرتْ فيها المرأةُ ، وحينُ لاحظتْ أنني خرجتْ للتوِ منْ الغرفةِ ، كذبتْ وأخبرتها أنني كنتُ أحدثَ أحدٍ رجاليٍ عبرَ الشرفةِ ، وحينُ تركتكَ ذهبتْ إلى سجنِ طرةْ ، وهناكَ قابلتْ حامدْ الشمري تاجرِ مخدراتِ محكومٍ عليهِ بالمؤبدِ ، عرضتْ عليهِ قطعةُ الحشيشِ ، وطلبتْ منهُ أنْ يخبرنيَ منْ يروجُ هذا الصنفَ وأينَ ، وبالطبعِ رفضَ في البدايةِ ، ظنا منهُ أنهُ هكذا يشي بأحدِ أصدقاءِ الكارْ ، لكني طمأنتهُ أنَ الأمرَ ليسَ لهُ علاقةٌ بالمخدراتِ ومروجها ، بلْ بجريمةِ اغتصابٍ تخصُ أحدَ المتعاطينَ ، وعلمتْ منهُ أنَ الوحيدَ الذي يروجُ هذا النوعَ منْ المخدر ، هوَ رجلٌ يدعى المعلمُ بجاشيْ بحيِ القصيرينَ ، وهذا الحيُ ملتصقٌ بحيِ الزاويةِ الحمراءِ ، الذي يقطنُ فيهِ الأخُ عباسْ ، ثمَ حدثتكَ عبرَ الهاتفِ وطلبتْ منكَ القبضُ عليهِ ، وبعدها وجدتني متجها إلى منطقةِ مدينةِ نصرٍ ، الحيُ الذي حدثتْ بهِ الجريمةُ الأولى ، وهناكَ دخلتْ متجر يبعدُ قليلاً عنْ العقارِ ، وراجعتْ الكاميراتُ وكانَ يجبُ أنْ نفعلَ ذلكَ منذُ البدايةِ ، وبالفعلِ شاهدتهُ وهوَ يسيرُ مبتعدا ، بعدما أنهى جريمتهُ البشعةَ ، كانَ ذلكَ فقطْ منْ أجلِ تعددِ الإثباتاتِ لا أكثر ، حتى أستطيعَ السيطرةُ عليهِ حينَ ألتقيهُ كما شاهدتْ ؛ وما حدثَ فيما بعدُ كنتَ أنتَ حاضرا فيهِ ، هلْ هناكَ شيئا آخرَ لمَ تفهمهِ بعد ؟ هكذا أنهى عيسى حديثهُ ، وما كانَ منْ حسنِ إلا أنهُ صفقَ لهُ حتى آلمتهُ يدهُ ، وسارَ نحوهُ حتى دنا منهُ وهوَ يقولُ : _ ليسَ لديَ شيئا يقالُ . ثمَ فتحَ زراعيةٌ على أخرهما ، وقالَ : _ اسمحْ لي أنْ أعانقكُ .

(تمتْ)